مدخل إلى

دراسة الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم والسُّنَّة النبويّة المطهّرة

الأستاذ الدكتور

زغلول راغب محمّد النجّار

أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية
رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

دار المعرفة

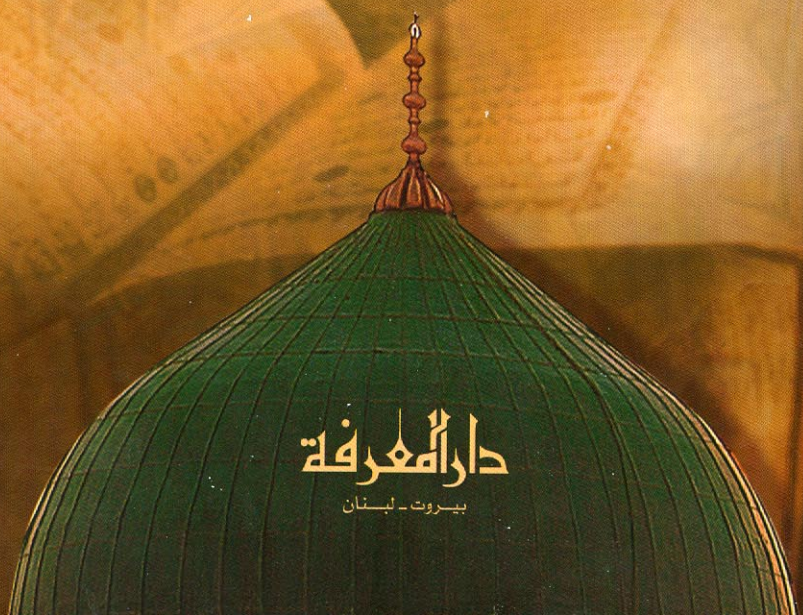

بيروت - لبنان

مدخل إلى
دراسة الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

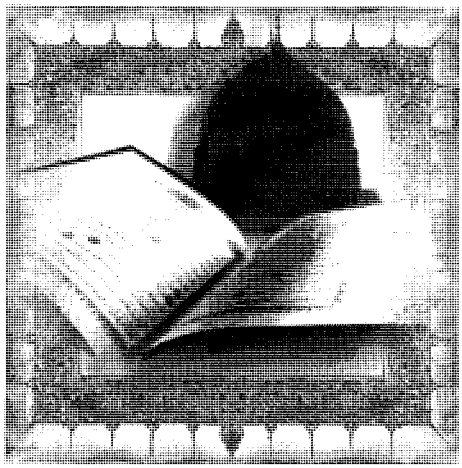

الأستاذ الدكتور
زغلول راغب محمد النجار

أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية
رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

دار المعرفة
بيروت - لبنان

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لدار المعرفة بيروت ـ لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**
Beirut - Lebanon

الطبعة الأولى
1430 هـ ـ 2009 م

ISBN 9953 - 85 - 197 - 2

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ـ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

مدخل إلى
دراسة الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

المحتويات

المقدمة ١١

الباب الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الفصل الأول: حفظ القرآن الكريم بعد ضياع أصول الوحي القديم ١٩

أولاً: ضياع كل صور الوحي القديمة ١٩

ثانياً: شهادات غير المسلمين بتحريف كتب العهدين القديم والجديد ٢١

ثالثاً: اعتراف الراهب جيروم بتحريف الأناجيل الأربعة المتداولة بين مسيحيي اليوم ٢٥

رابعاً: نص وثيقة الراهب جيروم ٢٦

خامساً: بعض المراجع المختارة للفصل الأول ٢٩

الفصل الثاني: جمع القرآن الكريم وكتابته وحفظه ٣٢

أولاً: كيف نزل الوحي بالقرآن الكريم؟ ٣٢

ثانياً: لماذا تعهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم؟ ٣٢

ثالثاً: القرآن الكريم يؤكد أن كل نبي وكل رسول بعث بالإسلام ٣٥

رابعاً: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها ٣٧

خامساً: تحدي الله ﷻ للثقلين أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وعجزهم عن ذلك ٣٩

سادساً: الله ـ تعالى ـ يمتدح القرآن الكريم ٤٠
سابعاً: رسول الله ﷺ يمتدح القرآن الكريم ٤١
ثامناً: من فضائل القرآن الكريم ٤٨
تاسعاً: جمع القرآن الكريم وكتابته ٦٧
(١) جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ ٦٧
(٢) جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٦٨
(٣) جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ٦٩

الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٧٣
الإعجاز النَّظْمِي ليس هو كل الإعجاز في القرآن الكريم ٧٤
الإعجاز العلمي في كتاب الله ٧٧

الفصل الرابع: مواقف العلماء من قضيتي التفسير العلمي للقرآن الكريم والإعجاز العلمي فيه ٨٥
أولاً: موقف المُضَيِّقين ٨٥
ـ مبررات الرافضين للمنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم ٨٩
ـ الرد على اعتراضات الرافضين للمنهج العلمي في التفسير ٩٤
ثانياً: موقف الموسعين في التفسير العلمي للقرآن الكريم ١١٨
ثالثاً: موقف المعتدلين في التفسير العلمي للقرآن الكريم ١٢٠
رابعاً: الرد على معارضي قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١٢٨

الفصل الخامس: تأصيل التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومبررات الاهتمام بها ١٣٩

أولاً: تعريف لفظة «الإعجاز» ١٣٩

ثانياً: تأصيل التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١٤٦

ثالثاً: مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١٥٣

الفصل السادس: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: الحاضر والآفاق ١٥٩

آفاق قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١٦٨

الفصل السابع: نماذج من آيات الإعجاز العلمي والتشريعي والتاريخي في القرآن الكريم ١٧١

أولاً: من آيات الإعجاز العلمي ١٧١

(١) ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١] ١٧١

(٢) ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] ١٨٣

(٣) ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ...﴾ [النور: ٤٠] ١٩٦

(٤) ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا...﴾ [النمل: ٦١] ٢٠٣

(٥) ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] ٢١٤

(٦) ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧] ٢٢٠

ثانياً: من آيات الإعجاز التشريعي ٢٢٧

(١) ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] ٢٢٧

(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] ٢٣٤

(٣) ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ٢٣٨

ثالثاً: من آيات الإعجاز التاريخي .....

(١) ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] ٢٤٦

الفصل الثامن: بعض آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مرتبة حسب ترتيب السور ٢٥٥

الفصل التاسع: بعض آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مرتبة حسب الموضوعات ٢٧٩

أولاً: من آيات السماء ٢٧٩

ثانياً: من آيات الأرض في القرآن الكريم ٢٨٨

ثالثاً: من آيات النبات في القرآن الكريم ٢٩٨

رابعاً: من آيات علوم الحيوان في القرآن الكريم ٣١٣

خامساً: من آيات الإنسان في القرآن الكريم ٣٢٥

سادساً: من آيات وصف مشاهد القيامة أو الساعة في القرآن الكريم ٣٣٨

سابعاً: من آيات التشريع في القرآن الكريم ٣٤٠

الباب الثاني: الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

الفصل الأول: مكانة السنة في الإسلام ٣٥٥

الفصل الثاني: ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة ٣٧٥

الفصل الثالث: نماذج من الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ ٣٨٥
أولاً: التأكيد على أن الأرضين السبع كلها في أرضنا ٣٨٥
ثانياً: التأكيد على أن تحت البحر ناراً ٣٩٣
ثالثاً: الإشارة إلى حقيقة إرساء الأرض بالجبال ٣٩٨
رابعاً: التأكيد على أنه «ما من عام بأقل مطراً من عام» ٤٠١
خامساً: التأكيد على أن اليابسة مدت من تحت الكعبة المشرفة ٤٠٤
سادساً: الإشارة إلى أن الأرض في مركز الكون، وأن الحرم المكي في مركز الأرض الأولى، ومن دونه ست أرضين ٤٠٦
سابعاً: التأكيد على ثبات السنن الكونية ٤٠٨
ثامناً: التأكيد على وجود براكين نشطة في أرض الحجاز ٤١٢
تاسعاً: التأكيد على أن من العلامات الكبرى للساعة «طلوع الشمس من مغربها» ٤١٥

عاشراً: قائمة ببعض الأحاديث النبوية الشريفة المحتوية على عدد من الإشارات العلمية مرتبة حسب موضوعاتها ٤١٨
١ ـ الله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ٤١٨
٢ ـ من أحاديث الكونيات ٤١٨
٣ ـ من أحاديث خلق الإنسان ٤١٩
٤ ـ من أحاديث المفضل من الطعام ٤٢٠
٥ ـ من أحاديث المحرمات من الطعام ٤٢١
٦ ـ من أحاديث الوقاية والأشفية ٤٢١
٧ ـ من أحاديث السلوكيات ٤٢١

٨ ـ من أحاديث الموت والبعث ٤٢٢
٩ ـ من أحاديث الساعة ٤٢٢

خاتمة ٤٢٤

ثبت بالمصادر والمراجع ٤٣٧
أولاً: عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٤٣٧
ثانياً: عن قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة ٤٤٥

مقدمـــة

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدرا التشريع الإسلامي، **فالقرآن** هو كلام الله، الموحى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بلسان عربي مبين، والمنقول عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي نجده في المصاحف التي خُطت أو طبعت على مر العصور، كما نجده مسجلاً في صدور الحفاظ جيلاً بعد جيل، ومن ثم نجده محفوظاً على مختلف صور الأشرطة والإسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

وقد نزلت آيات القرآن الكريم منجمة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكلٍّ منها مباشرة، ثم رُتِّبت تلك الآيات في مئة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسُمِّيت السور ورتبت بتوقيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة؛ فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وحفظه كلمةً كلمةً، وحرفاً حرفاً على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله ـ تعالى ـ على الخلق أجمعين إلى أن يشاء الله رب العالمين، وذلك لأن أصول الكتب السماوية السابقة كلها كانت قد تعرضت للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن عدد قليل جداً منها (من مثل التوراة، الزبور، والإنجيل) نقلت شفاهاً لعدة قرون قبل تدوينها بأيدي مجهولين، وفي لغات غير اللغات التي أوحيت بها، مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير، ولا تزال هذه الذكريات تتعرض لذلك التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات بشرية من التراث الإنساني، وعلى ذلك فهي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير والحذف والإضافة، وهذا ما حدث بها عبر التاريخ، ولا يزال

يحدث إلى زماننا الراهن. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل كلّاً من صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد» فكلاهما صناعة بشرية كاملة، وإن تحدثت عن عدد من أنبياء الله ورسله وعن غيرهم من الناس الذين هم ليسوا برسل ولا بأنبياء.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي المطلق الذي جاء به؛ ولذلك فهو الكتاب الوحيد الذي يُتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأذكار أو الأدعية.

وقد تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مجتمعين متظاهرين فقال عز من قائل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على ادعاء من ادعى من الكفار والمشركين أن الرسول ﷺ قد افتراه ـ وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب البيان والفصاحة والبلاغة ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثله. ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً. وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد عَجَزَت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تُداني كتاب الله في روعة بيانه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق أنبائه، وروعة معانيه، وعدالة تشريعه، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها، وسمو العقائد التي رَسَّخها، والعبادات التي شرعها، والحقائق التاريخية والعلمية التي أوردها. وكذلك عجزت القدرات البشرية ولا تزال عاجزة عن محاكاة القرآن الكريم في نهجه وصياغته، وفي تمام إحاطته بطبائع النفس البشرية، وقدرته على التعامل معها وعلى هدايتها، وفي دقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ، ومن هنا كان وصف القرآن الكريم بأنه معجز في كل أمر من أموره، بمعنى عجز البشر جميعاً عن الإتيان بشيء من مثله.

أما **السنة النبوية المطهرة** فتشمل كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

و(**الخبر**) أعم من الحديث، و(**الأثر**) ما كان موقوفاً على أحد الصحابة الكرام. و(**الحديث**) في اللغة هو الجديد، ويستعمل في التعبير عن (الخبر)، وفي اصطلاحات المحدثين هو (السنة)، وإن اعتبر البعض تعبير «السنة» أشمل من تعبير «الحديث».

وللحديث أقسام كثيرة، ولكن أشهرها هو: (**الصحيح**)، و(**الحسن**)، و(**الضعيف**). و(**الحديث الصحيح**) هو ما اتصل سنده بنقل العَدْل الضَّابِط عن مثله، والذي سلم من الشذوذ والعلل. ومن الصحيح: **الآحاد، والمتواتر، والعزيز، والغريب، و المسلسل، والعالي والنازل** (وعلو الإسناد هو قربه من الرسول ﷺ، ونزوله هو الأخذ عمن تقدم موته واشتهر فضله). و(**الحديث الضعيف**) هو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن.

وهناك **الأحاديث الموضوعة** (أي: المختلقة أو المكذوبة) والمدسوسة على رسول الله ﷺ، وقد انتشرت في زمن الفتن من جراء التعصبات المذهبية من

الخارجين على نهج رسول الله ﷺ. وعلى الرغم من ذلك فإن جهود علماء الحديث قد مايزت الحق من الباطل، وعَلَّمت البشرية كلها معنى توثيق المعلومة بمنهجية علمية دقيقة نتج عنها آلاف الأحاديث الصحيحة والحسنة. وذلك لأن صحابة رسول الله ﷺ كانوا عدولاً كلهم بنص القرآن الكريم الذي يقول فيه الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ويقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد كان لكل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ رجال رووا عنه، وكان لكل راوٍ شيوخ أخذوا عنه وهكذا حتى تم تدوين كل من أحاديث رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وسيرته الشريفة بصورة لا يماثلها تدوين سيرة نبي آخر من أنبياء الله ـ تعالى ـ ولا عظيم من عظماء الأرض.

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تضم قدراً من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يلم بها أو بشيء منها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي وذلك لعدم توافر أدوات الكشف ومنهجياته. وهذه الإشارات العلمية في أحاديث رسول الله ﷺ مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة، ـ في زمن العلم الذي نعيشه ـ ومن هنا كان القول بـ (الإعجاز العلمي في السنة النبوية الكريمة). ومن هنا أيضاً كان اهتمامنا بقضيتي الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهماً لهما، وإثباتاً لفضلهما، ودعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بهما لكونهما طوق النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك باللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا وهي لغة العلم.

ومن هنا كان في تبني شبكة جامعة عجمان للعلوم والتقنية إنشاء «كرسي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة» خطوة رائدة في التأكيد على أهمية هذه القضية، وكانت بذلك أول جامعة في العالمين العربي والإسلامي تتبنى قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فجزى الله ـ تعالى ـ كل من دعا إلى ذلك وأسس وساهم في تحقيقه خير الجزاء، وعلى رأسهم جميعاً معالي الأخ الكريم الأستاذ الدكتور سعيد سلمان الرئيس الأعلى لشبكة الجامعة، سدد الله خطاه، وكتب ﷻ لهذه التجربة الرائدة النجاح حتى تصبح شبكة جامعة عجمان قدوة لغيرها من الجامعات العربية والإسلامية وأنموذجاً يحتذى على مستوى العالم حتى نعيد إليه شيئاً من إنسانيته المفقودة في هذه الأيام المليئة بالفتن وأسباب ووسائل الانحطاط الإنساني، والانحسار الديني والأخلاقي والسلوكي المصاحب بالتقدم العلمي والتقني المذهل الذي أصبح يتهدد مصير الإنسانية بشر العواقب، والله ـ تعالى ـ نسأل أن يعيننا على تحقيق ما نصبو إليه من إنقاذ البشرية التائهة والمفتونة بالعلم والتقنية وبمعطياتهما في أطرهما المادية البحتة، والتي أعمت غالبية أهل الأرض عن نور الإيمان بالله الخالق البارئ المصور وعن حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله ـ تعالى ـ يعبده بما أمر، ومستخلفاً في الأرض مطالباً بالقيام على عمارتها وعلى إقامة شرع الله وعدله فيها، وهما وجهان لعملة واحدة إذا فقد الإنسان أحدهما عجز عن حسن القيام بدوره كمستخلف ناجح في الأرض، والله ـ تعالى ـ هو الموفق والمستعان، والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

الفقير إلى عفو ربه

زغلول راغب محمد النجار

القاهرة ١٥/٩/١٤٢٩هـ

١٥/٩/٢٠٠٨م

الباب الأول

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الفصل الأول

حفظ القرآن الكريم
بعد ضياع أصول الوحي القديم

أولاً: ضياع كل صور الوحي القديمة:

نعرف من صور الوحي القديمة كلاً من صحف إبراهيم، التوراة، الزبور، الإنجيل، والقرآن، ولم يبق من هذه الكتب السماوية محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلا القرآن الكريم، فلا يدعي أحد اليوم أنه يملك صحف إبراهيم فقد فقدت بالكامل. ومن الثابت تاريخياً أن أصول التوراة قد فقدت كذلك في زمن السبي البابلي، ثم أعيد كتابة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم من الذاكرة في زمن عزرا (حوالي سنة ٣٩٨ قبل الميلاد) أي بعد حوالي ثمانية قرون من موت نبي الله موسى عليه السلام (الذي وقع في حدود سنة ١١٨٤ قبل الميلاد).

ثم بواسطة مجهولين أضيفت إلى هذه الأسفار الخمسة كل من أسفار (يشوع، والقضاة، والملوك) ثم أسفار (إشعيا، وإرميا، وحزقيال، واثني عشر سفراً آخر)، ثم أضيفت مجموعة تسمى باسم «المزامير» بعد ذلك، وهي بالقطع ليست «مزامير داود عليه السلام» التي ثبت فقدانها بالكامل.

في سنة ٣٣٣ق.م. غزت جيوش الإسكندر المقدوني أرض فلسطين وقضت الوثنيات اليونانية القديمة على معتقدات أهلها جميعاً.

وفي عصر بطليموس الثاني (في حدود سنة ٢٨٥ ق. م). تمت الترجمة السبعينية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية القديمة، وهي لغة لم يتحدثها موسى عليه السلام ولا أي من أتباعه. وفي غمار هذه الترجمة حدث العديد من الأخطاء

والتحريفات، والزيادات المقصودة وغير المقصودة لأن كلًّا من المترجمين والنُّسَّاخ كانوا يعتقدون أنهم يدونون تراثاً شعبياً أكثر من تدوين وحي سماوي، وقد انتقد الآباء اليسوعيون هذه الأخطاء والزيادات والتحريفات في تقدمتهم للترجمة اليسوعية للعهدين القديم والجديد كما جاء في دلائل التحريف للدكتور شريف سالم (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

وفي الفترة من (١٦٥ق.م إلى ١٣٥م) تم تدمير مدينة القدس عدة مرات، وتم حرق جميع كتب اليهود، وقام المحتلون الرومان من أمثال كل من الإمبراطور اليوناني أنتيوخوس أبيفانس والقائد الروماني پومپيوس، وهيرودس الكبير، وتيتوس بإجبار اليهود على التحول إلى عدد من الديانات الوثنية، وفي هذه الفترة كثرت الصراعات بين الطوائف اليهودية، كما كثر الدس على كلام الله، وكثر التحريف والتضليل. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن اليهود مخاطباً عباده الموحدين:

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

ويقول الله ـ وهو أحكم القائلين ـ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

ويقول ـ عز من قائل ـ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

ويقول ـ وهو أحكم الحاكمين ـ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

وعلى ذلك فإن «العهد القديم» ليس وحياً سماوياً، ولكنه صناعة بشرية كاملة، تعرضت ـ عبر التاريخ ـ ولا تزال تتعرض للإضافة والحذف، وللتحرير بعد التحرير، وللتبديل والتغيير، وكلام الله تعالى لا تبديل له ولا تحريف.

فسفر «دانيال» مثلاً هو مؤلف متأخر لا تعترف به طائفة «الصدقيين» اليهودية، وإن استخدمته طائفة «الفريسيين»، بينما استعملت جماعة «لفائف قمران» أسفاراً من مثل أسفار «طوبيا» و«ابن مسيراغ» و«باروخ»، و«أخنوخ» و«اليوبيلات» وغيرها، وكلها لا علاقة لها بوحي السماء.

وانطلاقاً من ذلك حدثت اختلافات بين كل من الترجمات السبعينية اليونانية والعبرانية والسامرية في أكثر من ستة آلاف موضع، كما اختلف تبويب العهد القديم من طائفة إلى أخرى (انظر قائمة كل من يوسيفوس وأوريجانوس واختلافهما في تبويب العهد القديم في طبعاته المتأخرة)، وكان الإجماع في مؤتمر «جامنيا» على التحريف بالحذف والإضافة، وانطلاقاً من ذلك كله ابتدع اليهود كتاب «التلمود» وأهملوا العهد القديم.

ثانياً: شهادات غير المسلمين بتحريف كتب العهدين القديم والجديد:

من المزاعم التي يطلقها النصارى ويروجون لها قولهم: إن المسلمين وحدهم هم الذين ينظرون إلى كتب العهدين القديم والجديد نظر الشك والريبة، ويصفونها بالتحريف والتزوير، وهذا الزعم صادر عن مغالطة صريحة، وعن إغفال لحقائق التاريخ الثابتة، إذ من الثابت تاريخياً أن مجمع نيقية (٣٢٥م) هو أول من قام باختيار الأناجيل الأربعة المعتمدة اليوم عند المسيحيين من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً، ولم يقم ذلك الاختيار وفق منهج علمي محدد، تم على أساسه قبول ما قُبِلَ، ورد ما رُدَّ، وإنما كان الضابط الوحيد في ذلك هو ما ظنه رعاة المجمع من عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبنوه هم من عقائد.

وبالطبع لم يحظ هذا الاختيار بموافقة كل المؤتمرين، فقد عارضه جمع كبير منهم، إلا أن قوة سيف الرومان حسمت الخلاف لصالح من ذهب إلى الادعاء بألوهية عيسى عليه السلام نظراً لسيادة الفكر الوثني في الحضارتين اليونانية والرومانية، ولذلك اعتبر المؤتمر جميع المخالفين لقراراته مبتدعة ومهرطقين، علماً بأنهم كانوا هم الأكثرية، وكان فيهم عدد من الموحدين الذين نادوا بوحدانية الله (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد) وآمنوا

بأن عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وكان منهم القسيس الإسكندري الشهير آريوس: وأتباعه «الأريسيون» الذين كانت غالبية نصارى مصر في ذلك الوقت منهم.

وهكذا قضت سلطة الرومان الغاشمة على جميع المخالفين لهم ـ وخاصة الموحدين منهم ـ وذلك بالملاحقة والتشريد، فلم ينتشر مذهبهم، بل اضمحل مع مرور الوقت حتى بقي اليوم ـ فيما يظهر ـ من غير أتباع تقريباً. وفيما يلي استعراض لمواقف عدد من قدماء النصارى الذي حكموا على هذه الكتب بالتحريف والتزوير.

أ ـ **الفرقة الأبيونية**: ظهرت هذه الفرقة في القرن الميلادي الأول وكانت معاصرة لبولس أو «شاؤول الطرسوسي» اليهودي الذي لم يقابل المسيح أبداً، ولكنه اندس بين تلامذته من بعد رفعه، وواضح أن اندساسه كان من أجل إفساد عقائد أتباع المسيح عليه السلام. فأنكر عليه الأبيونيون كل دعاواه إنكاراً شديداً وعدُّوه مرتداً، وكانت الفرقة الأبيونية تسلم بالأسفار الخمسة الأولى فقط من كتب العهد القديم، وتسلم من كتب العهد الجديد بإنجيل متى فقط، وتختلف النسخة المعتمدة عندهم عن النسخة المعتمدة عند أتباع «بولس»، فليس فيها مثلاً البابان الأولان من إنجيل متى الموجودان حالياً، لأنها تعتقد أن هذين البابين ومواضع أخرى كثيرة هي كتابات محرفة، وكانت هذه الفرقة تنكر الادعاء بألوهية المسيح وتعتقد أنه نبي من أنبياء الله.

ب ـ **الفرقة المارسيونية**: وهي من فرق النصارى القديمة أيضاً، وكانت تنكر جميع كتب العهد القديم وتقول: إنها كتابات بشرية محضة وليست كتباً موحى بها. وكانت هذه الفرقة تنكر كذلك جميع كتب العهد الجديد إلا إنجيل لوقا، وعشرة رسائل فقط من رسائل بولس، وهذه الرسائل العشرة المسلمة عندها مخالفة للرسائل الموجودة الآن، وحتى «إنجيل لوقا» الذي قبلته هذه الفرقة فإنها كانت تنكر البابين الأولين منه، وتنكر منه مواضيع أخرى كثيرة.

ج - **فرقة ماني كيز**: وكان من علماء هذه الفرقة كل من القس «فاستس» والقس «إكستاين» وكلاهما عاش في القرن الرابع الميلادي، وقد نقل «لاردنر» في تفسيره للعهدين القديم والجديد عن «إكستاين» قول «فاستس»: «أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر، وغيبوا صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الأمر محقق. إن هذا العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها، وآذى ذلك الكاتب المجهول جميع المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التي يوجد فيها الأغلاط والتناقضات».

ويتلخص هذا الكلام في النقاط التالية:

(١) أن المسيحيين أدخلوا في العهد الجديد أشياء خارجة عنه.

(٢) أن هذا العهد الجديد المعروف الآن ليس من كتابة المسيح ولا الحواريين ولا تابعيهم، وإنما هو كتابة رجل مجهول الاسم.

(٣) أن هذا العهد الجديد وقعت فيه الافتراءات والأغلاط والتناقضات عمداً وعن غير قصد.

والطعن في مصداقية هذه الأناجيل لم يكن محصوراً على فرق عدتها الكنائس شاذة ومبتدعة، واتهمتها بالهرطقة والشذوذ، بل إنه تجاوز ذلك ليشكل قناعات لدى عدد كبير من المفسرين والمؤرخين المقبولين لدى النصارى، منهم الأسماء التالية:

أ - «**آدم كلارك**، الذي قال في تفسيره للعهدين القديم والجديد: «إن أكثر البيانات التي كتبها المؤرخون للرب (يقصد لنبي الله وعبده عيسى عليه السلام) غير صحيحة؛ لأنهم كتبوا الأشياء التي لم تقع بأنها وقعت يقيناً، وغلطوا في الحالات الأُخَر عمداً أو سهواً، وهذا الأمر محقق بأن الأناجيل الكثيرة

الكاذبة كانت رائجة في القرون المسيحية الأولى، وبلغت هذه الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً، وكان فاريسيوس قد جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات». وأضاف: (كانت ترجمات كثيرة باللغة اللاتينية من المترجمين المختلفين موجودة قبل «جيروم»، وكان بعضها في غاية التحريف، وبعض مواضيعها مناقضة للمواضيع الأخرى، كما صرح به «جيروم»).

ب - **وقال «لاردنر»** الذي ذكر في تفسيره للعهدين القديم والجديد ما ترجمته: «حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيثوس (الذي حكم ما بين سنتي ٤٩١ ـ ٥١٨م) فصححت مرة أخرى، فلو كان للأناجيل إسناد ثابت في عهد ذلك السلطان ما أمر بتصحيحها، ولكن لأن مصنفيها كانوا مجهولين أُمِرَ بتصحيحها، والمصححون إنما صححوا الأغلاط والتناقضات على قدر الإمكان، فثبت التحريف فيها يقيناً من جميع الوجوه، وثبت أنها فاقدة الإسناد».

جـ - **«واتسن»**: الذي قال: (إن «أوريجن» كان يشكو من الاختلافات، وينسبها إلى أسباب متعددة، مثل غفلة الكاتبين وعدم مبالاتهم، ولما أراد «جيروم» ترجمة العهد الجديد قابل النُّسخ التي كانت عنده فوجد بينها اختلافاً عظيماً) وقد اعترف جيروم بذلك في مقدمته لتلك الترجمة، وفي خطابه للبابا كما سيتضح بعد هذه السطور.

هذه بعض الأقوال التي نقلها صاحب كتاب «إظهار الحق» الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله رحمة واسعة)، وهي جميعها صادرة عن فرق نصرانية أو عن باحثين نصارى، وكلها تشهد بتحريف الأناجيل. ومن هنا نعلم أن المسلمين ليسوا وحدهم من قال بتحريف الأناجيل، كما يزعم بعض المسيحيين، بل: إن كل من ينظر في هذه الأناجيل سواء من ناحية السند أو من ناحية المتن والمحتوى يعلم علماً يقينياً بأنها محرفة، وأن يد العبث قد تدخلت فيها فزادت وبدلت وغيرت بدون وجه حق، وابتدعت من عندها ما لم يكن له أصل في تعاليم المسيح عليه السلام.

وعلى ذلك فإننا نؤمن بأن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل ـ فيما أنزل من كتب لهداية عباده ـ كلًّا من صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم، هذا الإله الخالق ﷻ لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد»، وكلاهما صناعة بشرية خالصة لا علاقة لها بوحي السماء، وإن تحدثت عنه بألسنة أعداد كبيرة من البشر العاديين الذين ليسوا برسل ولا بأنبياء، ومن ثم فليس لهم أية عصمة، وليست لكتاباتهم أية حجية على العباد.

ويبقى القرآن الكريم هو الوحي السماوي الوحيد الموجود بأيدي الناس اليوم، والمحفوظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، والمحفوظ حفظاً كاملاً على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، لأن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً لكي يبقى شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وسيبقى القرآن الكريم هو حجة الله البالغة على جميع خلقه، ومصدر التلقي الصحيح لأخبار أنبياء الله السابقين، وأممهم، وكتبهم إلى أن يشاء الله تعالى.

ثالثاً: اعتراف الراهب جيروم بتحريف الأناجيل الأربعة المتداولة بين مسيحيي اليوم:

مسألة تحريف الأناجيل مسألة قديمة جديدة، وقد خاض فيها قبل المسلمين مفكرون أجانب كثيرون منذ «فولتير» (١٦٩٤م ـ ١٧٧٨م) والبارون «هولباخ» وقدامى القساوسة من مثل «جان ميلييه» واللاهوتي «ثيرو» (١٧٦٥م) والقس «إرنيست رينان» (١٨٢٣م ـ ١٨٩٢م)، إلى (ندوة يسوع) «The Jesus Seminar» التي تعقد بطريقة دورية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الحضور المتكرر فيها عالم اللاهوت (بارت إرمان) رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة كارولينا الأمريكية .

وقد قامت د. زينب عبد العزيز أستاذة الحضارة والتاريخ بكلية البنات بجامعة الأزهر الشريف، باكتشاف المخطوطة التي تثبت التحريف المتعمد للأناجيل الأربعة المتداولة بأيدي نصارى اليوم على يد الراهب جيروم

(Jerome). وذلك في رسالة رفعها في مقدمة مراجعته لهذه الأناجيل الأربعة إلى البابا داماز داماسوس الأول (Pope Damasus I) رأس النصرانية في ذلك العهد. وقد وُجدت هذه الوثيقة في المكتبة العامة الفرنسية المسماة باسم/ «مكتبة فرانسوا ميتران» تحت رقم [C-244 (1) T1 11.1-A] وفيما يلي نص هذه الوثيقة الخطيرة:

رابعاً: نص وثيقة الراهب جيروم:

المجلد الأول من أعمال الراهب جيروم
بداية المقدمة
حول مراجعة نصوص الأناجيل الأربعة
إلى البابا داماز من جيروم

(تحثني على أن أقوم بتحويل عمل قديم لأخرج منه بعمل جديد، وتريد مني أن أكون حكماً على نُسخ كل تلك النصوص الإنجيلية المتناثرة في العالم، وأن أختار منها وأقرر ما هي تلك التي حادت أو تلك التي هي أقرب حقّاً من النص اليوناني، إنها مهمة وعرة، لكنها مغامرة خطرة إذ سيتعيَّن عليَّ تغيير أسلوب العالم القديم وأعيده إلى الطفولة، وأن أقوم بالحكم على الآخرين، ويعني ذلك في نفس الوقت أنهم سيحكمون فيه على عملي. فمَن يضمن لي أنه من العلماء أو حتى من الجهلاء حينما سيمسك بكتابي هذا بين يديه ويلحظ التغيير الذي وقع فيه بالنسبة للنص الذي اعتاد قراءته أنه لن يصيح بالشتائم ضدي ويتهمني بأنني مزور ومدنس للمقدسات؛ لأنني تجرأت وأضفت وغيَّرت وصححت في هذه الكتب القديمة؟).

(وحيال مثل هذه الفضيحة، هناك شيئان يخففان من روعي؛ الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتني بذلك، والأمر الثاني: أن ما هو ضلال لا يمكن أن يكون حقّاً، وهو ما تقرره أقذع الألسنة شراسة. وإذا كان علينا أن نضفي بعض المصداقية على مخطوطات الترجمة اللاتينية، ليقل لنا أعداؤنا أيها أصوب؛ لأن هناك من الأناجيل بعدد الاختلاف بين نصوصها، ولماذا لا يروقهم أن أقوم

بالتصويب اعتماداً على المصادر اليونانية لتصويب الأجزاء التي أساء فهمها المترجمون الجهلاء، أو بدلوها بسوء نية، أو حتى قام بعض الأدعياء بتعديلها).

(وإذا كان علينا دمج المخطوطات جميعها فما يمنع أن نرجع ببساطة إلى الأصول اليونانية ونبعد بذلك عن أخطاء الترجمات السيئة أو التعديلات غير الموفقة من جانب الذين تصوروا أنهم علماء، أو الإضافات التي أدخلها الكتبة النعسانون! إنني لا أتحدث هنا عن العهد القديم والترجمة السبعينية باللغة اليونانية التي لم تصل إلا بعد ثلاث ترجمات متتالية من العبرية إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية. ولا أود أن أبحث هنا ما الذي سيقوله أي من «أكويلا» أو «سيماك»، أو لماذا آثر «تيودوسيان» اختيار موقف الوسط بين المترجمين القدامى والحديثين؛ لذلك سأعتمد على الترجمة التي يمكن أن يكون قد عرفها الحواريون).

(وأتحدث الآن عن العهد الجديد، المكتوب بلا شك باللغة اليونانية فيما عدا إنجيل متَّى الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشره في المنطقة اليهودية. إن هذا الإنجيل يختلف يقيناً عن الذي بلغتنا نظراً لتعدد المصادر التي استعانوا بها لتكوينه. وقد آثرت أن أرجع إلى نص أساسي، فلا أود الاستعانة بترجمات المدعوين «لوشيانوس» أو «هزيكيوس» التي يدافع عنها البعض بضراوة عن غير وجه حق، واللذين لم يكن من حقهما مراجعة لا العهد القديم بعد ترجمة السبعين، ولا أن يقوما بمراجعة النصوص الجديدة. فالنصوص الإنجيلية التي وصلتنا بلغات شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء والإضافات التي بها. وإذا كنت قد قمت بذلك بالنسبة للنسخ المكتوبة بلغتنا فلا بد وأن أعترف بأني لم أستفد منها شيئاً).

(وهذه المقدمة المتواضعة تقترح أن يكون ترتيب الأناجيل الاسْمِي على النحو التالي: «متى»، «مرقس»، «لوقا»، و«يوحنا». وقد تمت مراجعتها من عدة مخطوطات يونانية قديمة، وهي لا تبتعد كثيراً عن فحوى النسخ اللاتينية، فلم أقم إلا بتصويب الأجزاء التي بدت بعيدة عن المعنى الحقيقي وتركت الأجزاء

الأخرى كما وصلتنا في صياغتها البدائية ووضعت حرف (ب) أمام الترجمات التي قام بها «يوسيبوس» من القيصرية المقسمة إلى عشرة أجزاء وفقاً لـ «أمونيوس السكندري»، فقد ترجمتها إلى لغتنا التزاماً بالمعنى اليوناني فحسب، وإن كان هناك أي فضولي يود معرفة الأجزاء المتماثلة أو المتفردة أو التي تختلف تماماً عن تقسيمة العشرة يمكنه معرفة ذلك؛ **لأن الأخطاء قد تراكمت مع الوقت في كتبنا، وهو ما يجعل إنجيلاً ما يتفاوت عن الآخر، وأشرت إليه بحرف (جـ)).**

(لقد وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها؛ لذلك ترى خلطاً شديداً في الترجمات اللاتينية، فأحد الكتبة قد قال أكثر. وفي الآخر قد أضافوا إذا تصوروا أنه أقل. وأن «مرقس» في أجزاء كثيرة ينقل عن كل من «لوقا» و«متى»، وأن «متى» ينقل عن كل من «يوحنا» و«مرقس»، بينما كان كل إنجيل يحتفظ بما يخصه فحسب، فكل واحد منهم قد نقل عن الإنجيل الذي وقع في يده. لذلك عند قراءة الكشف الذي أقترحه لن يكون هناك أي خلط وسيتم التعرف على المتشابه بينها وعلى ما يخص كل منها بعد أن استبعدت الخلط والأخطاء).

(ففي الكشف الأول يوجد توافق بين الأناجيل الأربعة «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا»، وفي الثاني لا يوجد توافق إلا بين «متى» و«مرقس» و«لوقا»، وفي الثالث بين «متى» و«لوقا» و«يوحنا»، وفي الرابع بين «متى» و«مرقس» و«يوحنا»، وفي الخامس بين «متى» و«لوقا»، وفي السادس بين «متى» و«مرقس»، وفي السابع بين «متى» و«يوحنا»، وفي الثامن بين «لوقا» و«مرقس»، وفي التاسع بين «لوقا» و«يوحنا»، وفي العاشر ستجد كل ما هو خاص بكل إنجيل ولا يوجد في الأناجيل الأخرى. وفي كل إنجيل على حدة هناك أجزاء متفاوتة الطول كلما ابتعدنا عن التوافق).

(الرقم سيكون باللون الأسود، وسيتضمن رقماً آخر تحته بالأحمر لكي يدل في أي إنجيل يوجد ذلك الجزء المعني، فعند فتح الكتاب ومحاولة معرفة أي فصل ينتمي لهذه الترجمة أو تلك فإن ذلك سيتضح فوراً من الرقم الذي أضفته من

أسفل. وعند الرجوع إلى بداية الطبعة التي توجد فيها القوائم معاً وبفضل اسم الترجمة المحدد في بداية كل إنجيل يتم العثور على رقم كاتبه مع العناوين المختلفة لكل منهم، ويوجد بجوار هذا الأخير أسماء الفقرات المماثلة، وهكذا يمكن الاطلاع على الأرقام الموجودة في نفس الفصل. وما إن تتم معاينة هذه المعلومات يمكن التوصل إلى كل واحد مع مراعاة الأرقام التي تم تحديدها فيمكن معرفة الأجزاء المتشابهة أو المتماثلة (ب)).

(أرجو أن تكون بخير في المسيح وألا تنساني يا قداسة البابا) ا.هـ).

ولا نجد تعليقاً على هذا الاعتراف من أحد رهبان المسيحية أَفضل من حكم ربنا ـ وهو علّام الغيوب ـ في التأكيد على تحريف العهدين القديم والجديد إذ يقول ﷻ في محكم كتابه العزيز:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول ـ عز من قائل ـ:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ويقول ـ وقوله الحق ـ:

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

خامساً: بعض المراجع المختارة للفصل الأول:

أولاً: تراجم العهدين القديم والجديد بالإنجليزية:

١ ـ ترجمة الملك جيمس ط K.JV ١٨١٩م، ١٨٣٠م، ١٨٣٦م ١٩٥٠م، ١٩٨٩م.

٢ ـ ترجمة الدوي الكاثوليكية D.V ط ١٩١٤م.

٣ ـ ترجمة الأخبار السارة CNB ١٩٦٦م، ١٩٧١م، ١٩٦٧م، ١٩٩٢م.

٤ ـ ترجمة RCV ١٩٤٦م، ١٩٥٢م، ١٩٧١م.

٥ ـ ترجمة LBV ١٩٦٢م، ١٩٦٥م، ١٩٧١م.

٦ ـ الترجمة الإنجليزية المعتمدة ESV.

٧ ـ الترجمة الأمريكية المعتمدة ١٩٠١م والجديدة منها ١٩٦٧م، ١٩٧٢م، ١٩٩٥.

٨ ـ الترجمة الدولية الحديثة NIV.

٩ ـ العهد الجديد من ٢٦ ترجمة مجموعة من اللاهوتيين إصدار MARSHALL MORGAN & SCOTT.

١٠ ـ الكتاب المقدس من أربع تراجم وإصدار COLLINS.

١١ ـ KJ.VN.EBR.S.V PHILPS MODERN ENGLISH.

ثانياً: التراجم العربية للعهدين القديم والجديد:

١٢ ـ طبعة وليم واطس لندن ١٨٤٤م وهي تكرار لترجمة ١٦٧١م روما.

١٣ ـ الترجمة السامرية دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨م.

١٤ ـ الترجمة العربية ط ١٨٦٥م.

١٥ ـ الترجمة العربية الأرثوذكسية للأناجيل الأربعة ط ١٩٣٥م.

١٦ ـ ترجمة بأمر البابا كيرلس (١٩١١م) مطبعة عين شمس.

١٧ ـ ترجمة جورج فاخوري ط ١٩٥٣م.

١٨ ـ الترجمة اليسوعية الأولى والثانية.

١٩ ـ ترجمة جمعية الكتاب المقدس ط ١٩٧٩م (فإن دايك).

٢٠ ـ ترجمات الحياة والحياة التفسيرية.

ثالثاً: التفاسير للعهدين القديم والجديد:

٢١ ـ تفسير وليم باركلي ترجمة لجنة من اللاهوتيين إصدار دار الثقافة القاهرة.
٢٢ ـ تفسير آدم كلارك ط ١٨٥١ لندن.
٢٣ ـ تفسير متى هنري، ترجمة القمص مرقس داود القاهرة.
٢٤ ـ تفسير لاردنر ط ١٨٢٧م لندن.
٢٥ ـ تفسير القمص تادرس اليعقوبي ملطي القاهرة.
٢٦ ـ تفسير هنري واسكات لندن.
٢٧ ـ التفسير الحديث للكتاب المقدس دار الثقافة القاهرة.
٢٨ ـ تفسير هورن ط ١٨٢٢م لندن.
٢٩ ـ تفسير واتسن لندن.
٣٠ ـ تفسير هارسلي.
٣١ ـ تفسير طومسن نيوتن ط ١٨٠٣م لندن.
٣٢ ـ تفسير دوالي وروجردمينت ط ١٨٤٨م لندن.
٣٣ ـ تفسير بنيامين بنكرتن إنجيل متى.
٣٤ ـ دراسات في العهد القديم سلسلة لتفسير الأسفار المحذوفة مراجعة الأنبا أيسوذورس.
٣٥ ـ شرح رسالة غلاطية القس غبريال رزق الله.

رابعاً: بعض التعليقات على العهدين القديم والجديد:

٣٦ ـ دلائل تحريف الكتاب المقدس للدكتور شريف سالم ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ الدار العلمية للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
٣٧ ـ المساومة الكبرى: من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني للأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز (الطبعة الثانية ٢٠٠٨م ـ دار الشرق ـ الدوحة قطر).

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم وكتابته وحفظه

أولاً: كيف نزل الوحي بالقرآن الكريم؟:

نزل الوحي بالقرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، من قبل ألف وأربعمائة سنة بلسان عربي مبين، وتم نقله عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي تم تدوينه كتابة عقب الوحي مباشرة بكل آية أو مجموعة آيات منه، ثم تم ترتيبه في سوره بتوقيف من الله ـ تعالى ـ بنفس الترتيب الموجود اليوم بين دفتي المصحف الشريف (من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»)، والممثل ببلايين النسخ من المصاحف التي خطت، أو صورت، أو طبعت على مر العصور، والتي توارثها بلايين الحفاظ وسجلوها في الصدور جيلاً بعد جيل، من جيل الوحي المبارك حتى اليوم، وإلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ، ومن ثم تم حفظه على مختلف صور الأشرطة والأسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

ثانياً: لماذا تعهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم؟:

تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم حفظاً مطلقاً فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والسبب في هذا العهد الإلٰهي المطلق هو أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، ولا أن يحقق رسالته في هذه الحياة الدنيا بنجاح دون هداية ربانية خاصة في الأمور التي يعلم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه المحيط

أن الإنسان عاجز عجزاً كاملاً عن الوصول فيها إلى أية تصورات صحيحة، وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات** التي تشكل ركائز الدين.

وهذه الهداية الإلٰهية علمها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أوحاها إلى عدد كبير من أنبيائه ورسله الذين بعثهم إلى مختلف بقاع الأرض على فترات من الزمن كي يجدد بهم هذه الهداية الربانية التي أكملها وأتمها في وحيه الخاتم (القرآن الكريم)، ولذلك تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً، فظل محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ لأن سلسلة النبوات والرسالات قد ختمت ببعثة النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي ﷺ فكان لا بد من حفظ رسالته حتى يتحقق العدل الإلٰهي الموصوف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن الثابت أن حفظ كل رسالة من الرسالات السماوية السابقة كان قد وُكِّل لأتباعها فضيّعوها، ومن هنا كان لا بد من إنزال رسالة خاتمة يحفظها الله ـ تعالى ـ بحفظه، وفي هذا يقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهذه الآية الكريمة ـ وأمثالها في كتاب الله كثير ـ تؤكد على وحدة رسالة السماء. وعلى الأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً.

وانطلاقاً من وحدانية الله سبحانه وتعالى تتأكد **حقيقة وحدة الدين**، فكما أن الله ـ تعالى ـ واحد، فهدايته للبشرية لا بد وأن تكون واحدة، وهذه الهداية الربانية الواحدة اسمها **الإسلام**، وهو اسم مستمد من الأصلين العربيين (السلام) و(التسليم) بمعنى الرضا بأوامر الله ـ تعالى ـ، والتسليم لحُكمه بمنتهى القبول

والسعادة، ولذلك كان الإسلام هو دعوة كل أنبياء الله ورسله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

ويؤكّد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الحكم القاطع بقوله العزيز في نفس السورة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. كذلك يؤكد ربنا ﷻ على هذه الحقيقة في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ثالثاً: القرآن الكريم يؤكد أن كل نبي وكل رسول بعث بالإسلام:

في العديد من الآيات يؤكد القرآن الكريم على أن جميع أنبياء الله ورسله بعثوا بالإسلام القائم على التوحيد الخالص لله ـ تعالى ـ، وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وفي ذلك نقرأ من كلام ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الآيات القرآنية التالية:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].
- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٧ ـ ٣٩].
- ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

- ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۖ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٣٣].
- ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].
- ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].
- ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣، ٨٤].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].
- ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

ومن هنا يُحتِّم القرآن الكريم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على كل مسلم ومسلمة، دون تمييز أو تفريق انطلاقاً من أمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز:

- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

رابعاً: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها:

سبق وأن ذكرنا أن آيات القرآن الكريم (البالغ عددها ٦٢٣٦ آية) نزلت منجمة (أي: متفرقة) على مدى ثلاث وعشرين سنة، وأنها كتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكل منها أو بكل مجموعة منها أو بكل سورة من سورها مباشرة، ثم رتبت تلك الآيات في مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسميت السور ورتبت بتوقيف من الله ﷻ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية)، بينما تعرضت الكتب السماوية السابقة كلها للضياع التام، وما بقيَ من ذكريات عن عدد قليل جداً منها ظل ينقل شفاهاً من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون قبل البدء في تدوينها بأيدي مجهولين، ممن ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، وبلغات غير اللغات التي أوحيت بها مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير. ولا تزال هذه الذكريات المنقولة شفاهاً عن عدد من صور الوحي السابقة تتعرض لذلك

التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات من التراث الشعبي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير، وللحذف والإضافة باستمرار. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل مما نعلم من الكتب السماوية التي نؤمن بأصول كل منها ـ كلًّا من: «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل» و«القرآن الكريم» لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم أو الجديد»، آو «المانوسمتري» أو «كتاب بوذا» أو غير ذلك من الكتب الموضوعة بأيدي نفر من الناس، سواء كانت لها علاقة بوحي سماوي سابق، أو لا علاقة لها البتة بأي من ذلك الوحي.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ولذلك ظل محتفظاً بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي الذي جاء به، فأصبح الكتاب الوحيد الذي يتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأدعية.

وفي التأكيد على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي تولى جمع القرآن الكريم في قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأجراه على لسانه وبَيَّنَ له معانيه، والرسول يسمعه من جبريل عليه السلام ويجهد نفسه في متابعته حتى لا يتفلت حرف واحد منه نقرأ قول رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ له ﷺ آمراً إياه بالأمر الإلٰهي:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

والوعد الإلٰهي بحفظ القرآن الكريم وعد مطلق، ولذلك حفظ هذا الكتاب الخالد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً إلى ما شاء الله ليبقى شاهداً على الناس أجمعين حتى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

خامساً: تحدي الله ﷻ للثقلين أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وعجزهم عن ذلك:

تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن مجتمعين متظاهرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يتقدم عاقل فيقول إنه استطاع أن يكتب شيئاً من مثل القرآن الكريم. كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على كل من ادعى من المشركين أن الرسول ﷺ هو الذي كتب القرآن الكريم، وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة والكتابة وذلك بقوله ـ تعالى ـ وقوله الحق:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب الفصاحة والبلاغة وحسن البيان ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم فيقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضيّ أكثر من أربعة عشر قرناً على مجيء الوحي بالتنزيل.

وقد عجزت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تداني كتاب الله في روعة بيانه، وجمال نظمه، وشمول علمه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق إنبائه، وسمو معانيه، وعدالة تشريعه، أو في مكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها لتطابق المصالح العامة والتامة لكلٍّ من الأفراد والمجتمعات؛ أو في سمو العقائد التي رسَّخها، والعبادات التي شرعها، أو في كلٍّ من الحقائق التاريخية والإشارات العلمية التي أوردها، أو في نهجه

وصياغته، وتمام إحاطته بطبائع النفس الإنسانية، ودقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ. وقد جاء القرآن الكريم في كل ذلك بنماذج منتقاة كدروس للبشرية في مجال تحقيق سنة الله بإهلاك الضالين من الكفار والمشركين والطغاة الباغين، المفسدين في الأرض ونجاة المؤمنين بالله، الموحدين لذاته، المنزهين لجلاله (عن الشريك، والشبيه، والمنازع، والصاحبة، والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله) والمجاهدين من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها.

سادساً: الله ـ تعالى ـ يمتدح القرآن الكريم:

يمتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الكتاب المجيد في العديد من آياته التي نختار منها قوله الحق:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].
- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].
- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].
- ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

سابعاً: رسول الله ﷺ يمتدح القرآن الكريم:

ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى ضرورة مدارسة القرآن الكريم: وذلك بوصاياه العديدة التي نختار منها ما يلي:

- **«ألا إن رحى الإيمان دائرة فدوروا مع كتاب الله حيث يدور، ألا إن السلطان والكتاب سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...»**[(١)].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»**[(٢)]، وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه؛ والتماس غرائبه أي: معرفة ما غمض من معانيه على قارئه.
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف ولام وميم»**[(٣)].

---

(١) أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في المعجم الصغير.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه.

- وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكل به أربعة ملائكة يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة**»(١).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف**»(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾** [الجن: ١، ٢]، **ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**»(٣).

- وعنه ﷺ أنه قال: «**فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**»(٤).

وقد أورد هذا الرسول الخاتم ﷺ أحاديث كثيرة في فضل القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي والإمام أحمد.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وبركات الاعتصام به، وفي الحث على تعلمه وحفظه وتعليمه، وعلى مداومة تلاوته وتفسيره، وتدبر معانيه، وفهم دلالات آياته، والمجاهدة من أجل العمل به، وتحقيق هدايته أمراً واقعاً في حياة المسلمين: أفراداً وأُسَراً ومجتمعات. كما حث رسول ﷺ على فضل الاستماع إلى القرآن الكريم، والانفعال بمعاني آياته إلى حد البكاء، تأثراً بكلام رب العالمين. مؤكداً أن هذا الكتاب الكريم، رفعة لحامله في الدنيا والآخرة، وله في ذلك ﷺ أقوال كثيرة نختار منها ما يلي:

- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل أهلين من الناس**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[١].

وعن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به**»[٢].

- وعنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٣].
- «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**» «**اقرأوا الزهراوين: سورتي البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما**»[٤].

«**اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**» (أي السحرة)[٥].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم القرآن**

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه مسلم.

فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كانوا كلهم قد وجبت لهم النار»[١].

- وروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»**[٢].
- قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»**[٣].
- وقال ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**[٤].
- وعن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورتا البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما»**[٥].
- وقال ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: **«أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً»**[٦].
- **«إذا ختم القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك»**[٧].
- **«من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»**[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.
(٢) ابن أبي الدنيا، والبيهقي.
(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والدارمي.
(٤) رواه الترمذي في سننه.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الطبراني.
(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٨) رواه الإمام أحمد.

- **«من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين»**[١].

- ويروي رسول الله ﷺ عن الله ـ عز وجل ـ قوله الكريم:

«من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٢].

وعلى هذا الفضل العظيم لتلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه يبقى تدبر معاني آياته، ومدارستها، والالتزام بما فيها من أوامر الله، واجتناب ما فيها من نواهيه، والدعوة إلى هذا الخير بين الناس بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي، يبقى لذلك كله من الأجر ما يفوق أجر التلاوة. لذلك كان رسول الله ﷺ يوصي بتدبر معاني القرآن الكريم عند التلاوة، وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتوقف عند كل آية: «فكان إذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب استجار بالله وتعوذ من عذابه، وإذ مر بآية فيها تنزيه لله تعالى سبح»[٣].

وفي ذلك يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[٤].

من هنا كان حرص السلف الصالح على كتاب الله: حفظاً، وفهماً، وممارسة وتدبراً، وتطبيقاً عملياً في الحياة. فعن أبي عبد الرحمٰن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا

---

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم وأبو داود.

تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[١].

والذاكرة في الصغر: صافية، طاهرة، خالية من كل كدر، ومن هنا تكون قدرتها الهائلة على الحفظ بسهولة ويسر. والطفل المسلم إذا حفظ القرآن الكريم في الصغر فصح لسانه، وقوي بيانه، وطهر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركزت معاني القرآن وقيمه النبيلة في ذاته، وترسخت في قلبه وعقله ركائز العقيدة الإسلامية السامية، ومن أبرزها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتنزيه الخالق العظيم ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس أجمعين الذين ينتهي نسبهم إلى أب واحد هو نبي الله آدم عليه السلام، وإلى أم واحدة هي أمنا حواء ـ عليها من الله الرضوان ـ وما أحوج الإنسانية المضطربة التائهة، الضائعة، المتصارعة اليوم إلى هذه القيم النبيلة.

وحفظ القرآن الكريم في الصغر يرسخ في قلوب وعقول حافظيه من حب لمكارم الأخلاق، ولجميل الصفات ما يطبعهم على الالتزام بها، ويرفعهم في معايير الدنيا والآخرة، ويفهمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عباداً لله، مطالبين بعبادة ربهم بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله فيها، وما أجلّ الاستقامة على منهج الله.. !!!

- والقرآن الكريم يحفظ حامله من كل مكروه، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب**»[٢].
- ويقول ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤).

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه الإمام البخاري وغيره.

- ويقول: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل والنهار**»(١).
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).
- ويقول ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر**»(٣).
- وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بسورة «الإخلاص» فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء صنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمٰن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٤).

وهذه الرواية على بساطتها تؤكد فضل تدبر القرآن الكريم وفهم دلالة آياته، لأن الله ـ تعالى ـ أنزله لنا نوراً وهداية في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، ومنهجاً ربانياً تستقيم به حياة الناس، ولا تستقيم بغيره، ولذلك ألح رسول الله ﷺ على مداومة تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معاني آياته، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاجتهاد في حفظه ومدارسته من كل جوانبه.

وحذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من هجر القرآن الكريم، وشكا هاجريه إلى

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٧٣٧٥.

رب العالمين، والتنزيل ينطق على لسانه الشريف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

- وحذر رسول الله ﷺ كذلك من حرمان المسلم نفسه من بركات القرآن الكريم فقال: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»(١).

- كما حذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من نسيان القرآن الكريم بعد حفظه فقال: «**من حفظ القرآن ثم نسيه فليس منا**»(٢)، ولذلك أوصى بمعاهدة القرآن باستمرار فقال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها**»(٣).

- كذلك حذر ﷺ من التردد في تلاوة القرآن الكريم بحجة صعوبة ذلك على بعض المسلمين من غير الأصول العربية، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران**»(٤).

ثامناً: من فضائل القرآن الكريم:

(أ) إنه كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ الإلٰهي تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى قيام الساعة بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٩١٣.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩١).
(٤) رواه الإمام أحمد.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والتعبير القرآني **(تبياناً لكل شيء)**، يعني كل شيء من أمور الدين بركائزه الأربع الأساسية: **العقيدة، العبادة، الأخلاق، والمعاملات.** ولو شاء الله ـ تعالى ـ أن يجعل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء من أمور الدنيا أيضاً لكان هذا الكتاب العزيز مجلدات عديدة لا يمكن للفرد الواحد أن يتمه قراءة في عمره كله، فضلاً عن حفظ نصه، والعمل به. ودليلنا على ذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يخبرنا في القرآن الكريم عن جميع أنبيائه ورسله وهم جمع غفير، واختار من قصصهم خمسة وعشرين فقط حتى تكون مدارسة قصصهم فرصة لاستخلاص العظة والعبرة، والاستفادة بالدرس.

(ب) إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه فحفظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله لأن هذا الوعد الإلٰهي الذي لم يطلق لرسالة سابقة أبداً، هو وعد مطلق، بينما كان حفظ الرسالات السابقة كلها قد ترك لأتباعها فضيعوها، وهذه آيات القرآن الكريم تشهد على ذلك بقول ربنا ـ تبارك اسمه ـ وقوله الحق:

- ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].
- ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].
- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١].

(جـ) إنه كتاب معجز في كل أمر من أموره لأنه كلام الله الخالق البارئ المصور، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط فريد من الصياغة العربية لم تعرفه العرب من قبل، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم في قمة من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان.

والإعجاز في القرآن الكريم (بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله) ليس مقصوراً على نظمه ـ كما يدعي البعض ـ لأنه ما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويجد منها جانباً من جوانب الإعجاز الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠].
- ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

(د) ومن جوانب الإعجاز في كتاب الله ما يلي:

١) **الإعجاز اللغوي**: الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، الدلالي.

٢) **الإعجاز التشريعي**: مثل الإعجاز في فقه الأسرة والمجتمع، وفقه

المعاملات، فقه السلوك، فقه المطعومات والمشروبات، فقه العقوبات، فقه القتال، فقه الولاء والبراء، وفي غيرها من أبواب الفقه.

٣) **الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة)**: بمعنى فضل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك؛ وفضل التوحيد الخالص على الشرك بالله، وفضل الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله على التحلق حول واحد منهم والمبالغة في تقديسه إلى حد عبادته من دون الله كما فعل كل من اليهود والنصارى.

٤) **الإعجاز التعبدي (إعجاز العبادة)**: بمعنى فضل صلاة المسلمين على صلوات غيرهم، وفضل نظام الزكاة عندهم على نظام الضرائب والمكوس عند غيرهم، وفضل صيامهم وحجهم على صيام غيرهم وحجهم.

٥) **الإعجاز الأخلاقي**: بمعنى مواءمة الدستور الأخلاقي في القرآن الكريم للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٦) **الإعجاز العلمي**: بمعنى السبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الوجود بدقة علمية مطلقة شملت الإنسان، والحيوان، والنبات، والكون ومكوناته، وظواهره.

٧) **الإعجاز التاريخي**: بالإشارة الدقيقة إلى عدد من الوقائع التاريخية التي بدأت الاكتشافات الآثارية في إثبات صحتها.

٨) **الإعجاز التربوي**: الذي يهتم بحسن بناء الإنسان الصالح، وليس فقط المواطن الناجح.

٩) **الإعجاز النفسي**: الذي يهتم بمخاطبة النفس الإنسانية بما يرقى بها إلى معارج الله العليا كما لا يمكن أن يرقى بها خطاب سواه.

١٠) **الإعجاز الاقتصادي**: من مثل ما جاء في تشريعات الزكاة، وفي تحريم التعامل بالربا، والأمر بكتابة كل من الدَّيْن والوصية والإشهاد عليهما.

والكارثة الاقتصادية التي عمت أهل الأرض جميعاً في أواخر سنة ٢٠٠٨م أنطقت غالبية الاقتصاديين من غير المسلمين بأن التشريعات المالية الإسلامية هي الحل للخروج من هذه الكارثة، مما أثبت فشل النظامين الوضعيين للاقتصاد: النظام الشيوعي الاشتراكي، والنظام الرأسمالي الديموقراطي، والحق ما شهدت به الأعداء.

١١) **الإعجاز الإداري**: من مثل حسن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات، والعدل بين المرؤوسين، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على الحقوق، والمساواة بين الناس، وتحريم تحكيم الأهواء الشخصية، والمحافظة على المصالح العامة وحسن الائتمان عليها.

١٢) **الإعجاز الإنبائي**: من مثل الإخبار بعدد من الأحداث المستقبلية التي تحقق بعضها، ولا زلنا ننتظر تحقق البعض الآخر.

١٣) **الإعجاز الصوتي**: من مثل إعجاز الجرس الصوتي في ختام كل آية من آيات القرآن الكريم.

١٤) **إعجاز الحفظ في نفس لغة الوحي (اللغة العربية)**: على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، والتعهد بذلك الحفظ إلى ما شاء الله.

١٥) **إعجاز التحدي للإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم**: في أسلوبه ومضمونه، ودقة كل أمر من أموره، دون أن يتمكنوا من ذلك، على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلت في هذا السبيل، وانتهت بالفشل الذريع.

(هـ) إنه الكتاب الوحيد المتضمن لدين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه:

وذلك لأن الدين هو بيان من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا ـ تبارك اسمه ـ بعلمه المحيط أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية

ضوابط صحيحة لنفسه فيها وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات**، وهي ركائز الدين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ويقول ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

(و) إنه الكتاب الوحيد الذي تكاملت فيه جميع الرسالات السماوية: انطلاقاً من حقيقة أنه يأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون أدنى تفريق بينهم لأن رسالات هؤلاء الرسل جميعاً كانت الإسلام، إلا أن أتباعها ضيعوها وحرفوا ما بقي من ذكراها ولذلك كَذَّبوا الرسالة الخاتمة لأنها كشفت كفرهم بالله، وتحريفهم لرسالاته، وتطاولوا على الرسول الخاتم ﷺ الذي أكد خروجهم على منهج الله ـ تعالى ـ، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٤ ـ ٢٦].

(ز) إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ اليوم في نفس لغة وحيه: فقد أنزل بلسان عربي مبين، وحفظه الله ـ تعالى ـ في نفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وعلى ذلك فلا بد من فهم دلالة ألفاظه وتركيب جمله، وأساليب التعبير فيه في إطار هذه اللغة التي تعتبر أم اللغات كلها، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].
- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].
- ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].
- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

(ح) إن الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات مصاغة صياغة شديدة الوضوح والإحكام حتى يفهمها كل إنسان ـ قلت ثقافته أم زادت ـ وإن كانت الحكمة من وراء كل أمر من هذه الأمور قد تحتاج إلى شيء من التفصيل. ومن أمثال ذلك قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(ط) إن الإشارات الكونية (المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره) في كتاب الله مُصاغة صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل في تكامل لا يعرف التضاد، وليس هذا لغير كلام الله، ومن هنا لا بد من توظيف الحقائق العلمية المتاحة في كل عصر من أجل فهم دلالة الآية القرآنية، وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد هائل من حقائق الكون، ومن هنا كانت الإشارات القرآنية الكثيرة التي تنبه إلى مستقبلية الكشف عن أعداد من الحقائق العلمية الثابتة التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بكتاب الله، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].
- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].
- ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٦، ٨٧].
- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

(ي) إن القرآن الكريم يجمع بين الدنيا والآخرة وبين عالمي الشهادة والغيب في معادلة واحدة، بينما أغلب الناس غارقون إلى آذانهم في عالم الشهادة (أي الدنيا الفانية) ولَاهُونَ عن الآخرة الباقية، حتى يفاجأ كل فرد منهم بالموت، ثم بالحشر والحساب والجزاء، وهو صفر اليدين من الحسنات، في حين أن الكون كله يسبح الله ـ تعالى ـ ويسجد له ويمجده ويقدسه، وفي ذلك يؤكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هلاك الغافلين من عباده، المنبهرين بالكشوف العلمية والتقنية،

والغارقين في مادياتها، دون النظر إلى جوانب الحكمة فيها، والدلالة منها على خالقها وذلك بما ينطق به التنزيل فيقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وفي المقابل يؤكد القرآن الكريم أن كل ما في الوجود من الخلق غير المكلف يسجد لله ـ تعالى ـ سجوداً فطرياً، تسخيرياً، لا اختيار له فيه، فيقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

ويقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وانسجام الإنسان مع الكون في الخضوع بالعبادة والتسبيح والطاعة للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ له مردوداته الإيجابية على حياة الإنسان المادية والروحية على حدّ سواء.

(ك) في الوقت الذي تحاول الحضارة المادية المعاصرة رد كل سبب في الوجود إلى ما يسمونه الطبيعة، فإن القرآن يؤكد على أن الله ـ تعالى ـ هو واضع جميع السنن والقوانين التي تحكم كل صغيرة وكبيرة في الكون، وأن من وراء السنن هناك إرادة الله الغالبة المدبرة لكل أمر، ومشيئته المطلقة الحاكمة لكل شيء، وفي ذلك يقول ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

(ل) إن القرآن العظيم يكرم الإنسان ويفضله على كثير مما خلق الله تفضيلاً، في الوقت الذي ترده الحضارة المادية المعاصرة إلى الحيوانية المحضة فتصفه

بالحيوان الناطق أو الضاحك أو الاجتماعي وشتان ما بين الموقفين. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقرر القرآن الكريم كذلك أن الإنسان ـ هذا المخلوق المكرم ـ هو صاحب إرادة حرة إذا استخدمها في طاعة الله وأخذ بالمنهج الذي وضعه له الله ـ تعالى ـ في هذه الحياة ارتفع بنفسه إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، ليلحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين يصفهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(م) بينما تقوم الحضارات المادية كلها على أساس من العصبيات العرقية، أو الاجتماعية أو الإقليمية الضيقة البغيضة، فإن القرآن الكريم يؤاخي بين الناس جميعاً لأنه يردهم إلى أبوين كريمين هما آدم وحواء عليهما السلام وانطلاقاً من ذلك يؤاخي بين الناس جميعاً، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].
- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].
- ويقول الرسول ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»[(١)].

(١) أخرجه الربيع في مسنده ح: ٤١٩.

(ن) ويقر القرآن الكريم أن الإنسان إذا التزم بهذا المنهج الرباني ارتفع في معراج الله إلى أعلى عليين فيكون له أجر غير ممنون، وإذا انحرف عن منهج الله انحط إلى أسفل سافلين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

(س) كذلك يقرر القرآن الكريم أن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الحياة وهذا هو ما جسّده تاريخ البشرية إلى اليوم ـ ولذلك قال تعالى ـ:

- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

(ع) **إن القرآن الكريم هو الحق المطلق الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم وهذا الحق هو قوام الوجود كله،** فإذا التزم به العبد صلح أمره كله، وسعد في الدنيا ونجا في الآخرة، وإذا حاد عنه فسد في الدنيا وهلك في الآخرة، وتاريخ البشرية عبر الأربعة عشر قرناً الماضية شاهد على ذلك. والحق لا ينتصر لمجرد كونه حقاً، بل لا بد له من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات به، يدافعون عنه ويبذلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق نصرة الحق وأهله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].
- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].
- ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤].
- ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].
- ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].
- ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].
- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].
- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤، ٥٥].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].
- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(ف) لا بد للحق (ممثلاً في دين الله وهو الإسلام) أن يظهر، ولو بعد حين، ولا بد للباطل (ممثلاً في كل المعتقدات الوضعية) أن يزهق وتدول دولته مهما طال لها الأمد، وتاريخ الإنسان على سطح الأرض شاهد على ذلك، وفي ذلك يقول ربنا ـ جل شأنه ـ:

- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠].
- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].
- ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: ٦]
- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].
- ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].
- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].
- ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

(ص) من فضائل القرآن الكريم أنه يعلمنا ضرورة الأخذ بالأسباب قدر

الطاقة، ثم الرضا بقضاء الله وقدره، اطمئناناً إلى رحمة الله وعدله وحكمته، ولذلك يعلمنا هذا الكتاب الخالد ألا نحكم على الأمور بظواهرها لأننا لا نعلم إلا الظاهر فقط، والباطن في علم الله ﷻ القائل:

- ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].
- ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(ق) إن القرآن المجيد يُعلم المسلم كيف يعيش في كنف الله ورعايته، مؤكداً على ألا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، ولذلك يقول ﷻ:

- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].
- ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].
- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩].
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(ر) يؤكد القرآن الكريم على حقيقة الخلق، وعلى حتمية القيامة ثم البعث والحشر والحساب والجزاء بالخلود إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً. والعلوم المكتسبة تؤكد على أن الكون له بداية يحاول العلماء تقديرها. وكل ما له بداية لا بد وأنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية. ويشهد على ذلك أن الشمس تفقد من

كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن. ونحن نرى كل شيء في الوجود من الجمادات والأحياء يخلق ويموت، كما نرى الحرارة تنتقل من الأجسام الحارة كالنجوم، إلى الأجسام الباردة من مثل الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات حتى تتساوى درجات الحرارة فينتهي الكون إذا قدر له البقاء حتى يحدث ذلك، لأننا نحن معشر المسلمين نؤمن بأن الآخرة لن تتم بأي من سنن هذه الحياة الدنيا، ولكن بالأمر الإلٰهي: كن، فتكون. وحتمية الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ هي حقيقة الحقائق، ومن الطرق المؤدية إلى سلامة ذلك الرجوع حرص المسلم على الحياة حسب المنهج الذي وضعه الله ﷻ لعباده، وأنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وأكمله وأتمه وحفظه في رسالته ـ الخاتمة ـ التي أنزلها على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وتعهد بحفظها تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، ولذلك يخاطب القرآن الكريم هذا النبي الخاتم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ له:

- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].
- ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٩ ـ ٢١].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].
- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].
- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۚ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].
- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].
- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١، ٢].
- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ۝٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ۝٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٣١].

(ش) إن القرآن الكريم نزل لنا لنفهمه، حتى نتمكن من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً في حياتنا، ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على تدبر آياته وفهم دلالاتها وتطبيقها أمراً واقعاً في حياتنا فيقول ـ عز من قائل ـ:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].
- ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

- ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

(ت) القرآن الكريم هو القول الفصل بين الحق والباطل، والحجة البينة، والذكر الحكيم، والهدي الناصع، والتذكرة لكل غافل، والفرقان في كل أمر، والمنزه عن كل نقص، والخالي من كل عيب وريب وعوج ولذلك قال ـ تعالى ـ فيه:

- ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهذا هو ما أثبتته كل دراسات القرآن الكريم في كل زاوية من زواياه، وفي كل قضية من قضاياه، ولذلك يأمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين بتلاوة كتابه العزيز، ومدارسة آياته، وتدبّر معانيها، كما أمرهم بحسن الاستماع إلى تلاوته، والإنصات لقراءته من أجل تحقيق ذلك.

(ث) القرآن الكريم نظام شامل كامل للحياة التي يرتضيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده الصالحين: يتخلق الفرد به مع ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومجتمعه، ومع البشرية كلها، ومع الكون كله: جماده، وأحيائه، وسننه وظواهره، لذلك وصفت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وهو أكمل البشر خَلقاً وخُلقاً فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

من هنا كانت أوامر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى عباده الصالحين بضرورة التمسك بكتابه العزيز: تلاوة، وحفظاً، وفهماً، وتدبراً وحكماً، وتشريعاً، وأخلاقاً وسلوكاً، وتطبيقاً عملياً كاملاً في الحياة من أجل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وتاريخ المسلمين عبر الأربعة عشر قرناً الماضية يؤكد على أنهم ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلا نهضوا وارتقوا وعزوا، وما أداروا ظهورهم لهما إلا تخلفوا وانحطوا، وذلوا ذلاً مهيناً.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

وهذه آيات القرآن الكريم تطرق أسماع الناس في كل حين آمرة بالتزام منهج الله، وإلا فلا نجاح، ولا فلاح، ولا نجاة إلا بتطبيقه دستوراً كاملاً شاملاً لحياة الناس أفراداً، وجماعات، ومجتمعات ودولاً وأمماً، ومن ذلك قول ربنا ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل: ١، ٢].
- ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٣].
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

وقد حذر رسول الله ﷺ من رفع القرآن الكريم من الأرض، ومن خطر انتزاعه من القلوب في آخر الزمان، فمن رواية لعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «**أيها الناس! ما هذه الكتب التي تكتبون، أكتاب غير كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقاً ولا قلباً إلا أخذ منه**» قلنا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال ﷺ: «**من أراد الله تعالى به خيراً أبقى في قلبه: لا إله إلا الله**».

وانطلاقاً من ذلك كله كان اهتمام علماء المسلمين بكتاب الله الكريم فوضعوا له من العلوم ما ييسر فهمه، مثل العديد من كتب التفسير، وعلوم القراءات، وعلوم رسم القرآن، وتواريخ جمعه وكتابته، وفواتح سوره، والناسخ والمنسوخ منه، وأوجه الإعجاز المتعددة فيه، وإعرابه، وغرائب ألفاظه، والمحكم والمتشابه من آياته، والمجمل والمفصل منه، وقصصه، والمفرد والمكرر فيه، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بهذا الكتاب العزيز. حتى وضعت في علوم القرآن تصانيف عديدة تقدر بعشرات العلوم التي لم أرد الخوض فيها هنا لأن لها مراجعها العديدة الخاصة بها.

ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم دالة على معانيه، دلالة مأخوذة من دلالات اللغة العربية، فإن أغلب الآيات القرآنية لا تحتاج إلى التفسير، وإن اتضح ذلك بشكل جلي في الإشارات الكونية (أي التي تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره)، وهي في مجموعها تمثل سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من حقيقة أن علم الله المحيط بالطبيعة البشرية، وبمعارف الإنسان الجزئية ذات الطبيعة التراكمية، في كل المعارف المكتسبة، شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن تكون صياغة جميع الإشارات العلمية في القرآن الكريم صياغة معجزة، يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل ألفاظ الآية القرآنية الواحدة قادرة على الاتساع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى كلام الله مهيمناً على كلام البشر مهما اتسعت دوائره، وهذا عندي من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

فإن وجد في بعض ألفاظ القرآن الكريم ما قد يخفى مدلوله على أهل زماننا ـ وقد تفشت بيننا العجمة في زمن الفتن والتغريب الذي نعيشه ـ فإن هذه الألفاظ قد تم جمعها وتبويبها تحت ما يعرف باسم «غرائب القرآن الكريم» وقد عني بشرحها وبيان معانيها أئمة اللغة والتفسير في القديم والحديث كابن عبيدة، وابن دريد، والزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري، والراغب الأصفهاني، والسجستاني وأضرابهم في القديم، وكما فعل ذلك في زماننا كل من فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمهما الله برحمته الواسعة).

تاسعاً: جمع القرآن الكريم وكتابته:

وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الحفظ مع دقة الترتيب) عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

كما وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الكتابة والتدوين). والمعنى الأول آتاه الله ـ تعالى ـ لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد. وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مر بمراحل ثلاث على النحو التالي:

(١) جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ عدداً من كتاب الوحي منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ وكان منهم معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم، مما يجاوز عددهم الأربعين كاتباً، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بكتابة كل ما ينزل عليه

من القرآن الكريم الذي كان يدون على رقاع من جلود الحيوانات وعظام أكتافها، أو صحائف الحجارة، أو جريد النخل، أو قطع الخشب.

وكان ترتيب الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أول السورة، وترتيب السور من الأمور التوقيفية على أوامر من الله ـ تعالى ـ بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

وكان رسول الله ﷺ يملي ما يوحى إليه من القرآن الكريم مباشرة على كتاب الوحي، ويأمرهم بترتيب الآيات حسب ما يوصيه به جبريل عليه السلام، وقد ثبت في سيرته الشريفة أنه ﷺ قرأ العديد من سور القرآن الكريم كاملة في الصلاة أو في خطب الجمع والعيدين بنفس الترتيب الذي نجده في المصاحف اليوم، وكان ذلك على مسمع من آلاف الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ مما يؤكد على أن ترتيب الآيات في كل سورة، وترتيب السور كما نجده في القرآن الكريم كله هو أمر توقيفي. وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ينهى عن (النكوص) في التلاوة، بمعنى: القراءة في الصلاة من سورة متأخرة قبل سورة متقدمة، مما يؤكد على أن ترتيب السور القرآنية هو أمر توقيفي.

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله ﷺ مع استنساخ كُتَّاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أُملي على كل منهم. وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ عرف العرب الورق فأمر خليفة رسول الله بنسخ هذه الرقاع في مصحف واحد على الورق، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة (١٢هـ) والتي استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن الكريم من الصحابة، فهال ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء إلى أبي بكر يقترح جمع القرآن وظل يراجعه حتى

شرح الله ـ تعالى ـ صدره لذلك، فاستدعى أبو بكر كاتب الوحي الماهر بالقرآن زيد بن ثابت، وكان أمهر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكلفه بجمع القرآن من الرقاع المحفوظة في بيت رسول الله ﷺ في مصحف واحد ظل في عهدة الخليفة الأول حتى توفاه الله، فانتقل المصحف إلى عهدة الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند استشهاده انتقل إلى بيت أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها. وقد ظفر مصحف أبي بكر الصديق بإجماع الأمة لمطابقته لما كتب على عهد رسول الله ﷺ وما احتوته صدور الحفاظ.

(٣) جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

في أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن ترسل إليه بنسخة المصحف الشريف الذي كان قد تم جمعه على عهد الخليفة الأول فأرسلته إليه. وعلى الفور أمر سيدنا عثمان كلًّا من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بنسخ عدد من المصاحف من الأصل الذي أملاه رسول الله ﷺ على كتّاب الوحي، ثم جمع على عهد سيدنا أبي بكر الصديق. وكان هؤلاء الأربعة من كبار الحفاظ لكتاب الله، وكان زيد بن ثابت من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين هجرية. ثم رد الخليفة عثمان نسخة المصحف الأولى إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنه، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة من المصاحف التي تمت كتابتها في عهده، من مثل مكة المكرمة، الكوفة، البصرة، بلاد الشام، اليمن، والبحرين، بالإضافة إلى المصحف الإمام الذي احتفظ به سيدنا عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة.

وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يرسل مع كل نسخة من المصحف الشريف حافظاً يعلم الناس سلامة النطق بالقرآن الكريم، ورأى أن يحرق ما عدا ذلك من مصاحف كانت قد امتلأت بالشروح والتفاسير مما ليس من

القرآن في شيء حتى لا يختلف المسلمون، ولم يقدم سيدنا عثمان على ذلك إلا بعد مشورة الصحابة الكرام والحصول على تأييدهم.

كذلك تمكن عدد من حفاظ القرآن الكريم من استنساخ نسخ لأنفسهم من المصحف الإمام، وكان منهم كل من عبد الله بن الزبير وأمهات المؤمنين السيدات عائشة، وحفصة، وأم سلمة (رضي الله ـ تعالى ـ عنا وعنهم أجمعين).

ولما أعيد المصحف الشريف الذي تم جمعه على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ﷺ ظل عندها حتى توفاها الله، وقد حاول مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ) أن يأخذ منها تلك النسخة ليحرقها إجلالاً وتقديراً لكتاب الله، وكانت صفحاتها قد أخذت في الاهتراء، ولكنها أبت، ثم حصل عليها بعد وفاتها وقام بإحراقها لأن صفحاتها كانت قد أخذت في البلى والتهلهل.

ومن الثابت أن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قد رأى إحدى نسخ مصحف عثمان بالشام بعد منتصف القرن الثامن الهجري. وذكر أن هذا المصحف كان قد تم نقله من مدينة طبرية إلى دمشق في حدود سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) وأضاف بأن النسخة كانت مكتوبة بخط حسن، مبين، قوي، بحبر محكم، في رق يظن أنه من جلود الإبل.

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها وذلك لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فوفق الله ـ ﷻ ـ نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلٰهية التي حفظت لنا القرآن الكريم حفظاً كاملاً: حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة في نفس لغة الوحي (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً. وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب

العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبذلك يبقى هذا الكتاب الخالد حجة الله ـ تعالى ـ على عباده وقد قال ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وكذلك بقي القرآن الكريم الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمحفوظ بحفظ الله ـ تعالى ـ بين أيدي الناس على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية حتى اليوم، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ الذي وصف محكم كتابه بقوله العزيز: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

الفصل الثالث

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، فكل حرف من حروفه، وكل كلمة من كلماته، وكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور ـ طالت أم قصرت ـ تشهد لكتاب الله ـ تعالى ـ بأنه معجز بما فيها من قواعد عقدية، أو أوامر تعبدية، أو قيم أخلاقية، أو ضوابط سلوكية، أو أحداث تاريخية، أو إشارات علمية إلى شيء من أشياء هذا الكون الفسيح وما فيه من ظواهر وسنن وكائنات، أو خطاب إلى النفس الإنسانية أو أحكام تشريعية أو غيرها.

فكل تشريع، وكل قصة، وكل واقعة تاريخية، وكل إشارة تربوية، وكل نبوءة مستقبلية، وكل نصيحة تنظيمية، وكل خطاب إلى النفس الإنسانية مما جاء في القرآن الكريم يفيض بجلال الربوبية، ويتميز عن كل صياغة إنسانية في روعة الأسلوب، ودقة المحتوى وكماله وشموله مما يشهد للقرآن الكريم بالتفرد، كما يشهد بعجز الإنس والجن فرادى ومجتمعين عن الإتيان بشيء من مثله.

وقد أفاض المتحدثون عن أوجه الإعجاز في كتاب الله، فكان منهم من رأى ذلك في جمال بيانه ودقة نظمه وكمال بلاغته، ومنهم من رأى ذلك في روعة معانيه، وشمولها، واتساقها، ودقة صياغتها، وقدرتها على مخاطبة الناس على اختلاف مداركهم وأزمانهم، وإشعاعها بجلال الربوبية في كل آية من آياته..!!

ومنهم من أدرك أن إعجاز القرآن هو في كمال تشريعه ودقة تفاصيل ذلك التشريع وحكمته وشموله، ومنهم من وجده في استعراضه الدقيق لمسيرة البشرية ولتاريخ عدد من الأمم السابقة من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين

ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ، مما لم يكن يعلم تفاصيله أحد من الناس في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعد ذلك الزمن.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن الكريم في منهجه التربوي الفريد، وأطره النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت، والثابتة على مر الأيام، أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشاراته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يصل إلى شيء من معرفته وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات السنين من بعد ذلك.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده أمام كل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين، والملاحدة المتشككين على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد تعهد بحفظه بعهده الذي قطعه ﷻ على ذاته العلية ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً، وذلك بقوله العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن العلماء من يرى إعجاز القرآن الكريم في ذلك كله وفي غيره مما يقصر الحديث عنه فهناك **الإعجاز اللغوي**، البياني، النظمي؛ و**الإعجاز العقدي والتعبدي والأخلاقي، والتشريعي**، وهناك **الإعجاز التاريخي، والتربوي، والنفسي، والاقتصادي، والإداري، والإعلامي**، وهناك **الإعجاز العلمي والتقني، والإعجاز العددي (الرقمي أو الحسابي)، والإعجاز الإنبائي، والإعجاز الصوتي؛ والإعجاز في الحفظ في نفس لغة الوحي، والحفظ من التحريف أو الضياع، وإعجاز التحدي** للإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وغير ذلك كثير، مما يؤكد على تعدد جوانب الإعجاز في كتاب الله وينفي قصر ذلك على إعجاز نظمه كما يتضح من التحليل التالي:

الإعجاز النَّظْمِي ليس هو كل الإعجاز في القرآن الكريم:

لقد أوتي كل نبي من أنبياء الله وكل رسول من رسله من المعجزات ما شهد له بالنبوة أو بالرسالة، وهذه المعجزات كانت مما تميز به أهل العصر،

فموسى عليه السلام بعث في زمن شاع فيه السحر، فأعطاه الله ـ تعالى ـ من العلم ما أبطل به سحر السحرة، وعيسى عليه السلام بعث في زمن شاع فيه الاهتمام بالتطبيب فخلقه الله ﷻ بمعجزة، وأنطقه وهو في المهد، وأعطاه من القدرات ما خلق بها من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله، وما أبرأ به الأكمه والأبرص بإذن الله، وما أحيا به الموتى بإذن الله، فتفوق بذلك على أطباء عصره.

أما خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فكان نبوغ قومه في الفصاحة والبلاغة وحسن البيان فآتاه الله ـ تعالى ـ القرآن وتحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو حتى بسورة واحدة من مثله. ولمَّا لم يتقدم عاقل ليقول إنه استطاع ذلك؛ ظن كثير من الناس أن إعجاز القرآن الكريم ـ بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله ـ متجسد في نظمه وفصاحته وبلاغته، خاصة وأن القرآن الكريم قد أدهش فصحاء العرب حين سمعوه، وأذهل عقولهم حين قرأوه، ولمَّا لم يجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه لجأوا إلى وصفه بالسحر أو بالشعر؛ إقراراً بعجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، وصدق الله العظيم إذ يقول مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣٤]، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣].

انطلاقاً من ذلك ركزت الكثرة الكاثرة من القدامى والمعاصرين ـ على حد سواء ـ على ناحية نظم القرآن الكريم، وقد كان في مقدمة هؤلاء الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، وتبعه كثيرون كان منهم الواسطي (ت ٣٠٦هـ)، والطبري (ت ٣١٠هـ)، والأشعري (ت ٣٢٤هـ)، والسمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، والرماني (ت ٣٨٦هـ)، والخطابي (ت ٣٨٨هـ)، وكل من الباقلاني

(ت ٤٠٣هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، والثعلبي (ت ٤٢٧هـ) وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، والظاهري (ت ٤٥٦هـ) والجرجاني (ت ٤٧١هـ)، والغزالي (ت ٥٠٥هـ) والبغوي (ت ٥١٠هـ)، وكل من القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ).

ويذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره (١/ ٢٧٨) ما نصُّه: «إن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن الكريم، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن الكريم إلى آخره، والبشر يَعُمُّهُم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك؛ فبهذا جاء نظم القرآن الكريم في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا نرى البليغ يُنَقِّحُ القصيدة أو الخطبة حولاً، ثم ينظر فيها فيغير منها وهلم جراً. وكتاب الله لو نُزِعَتْ منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد . . . وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة».

وتلا هؤلاء الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، وكل من السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، والزملكاني (ت ٦٧١هـ) والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، والقرطبي (ت ٦٧١هـ) والبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، والنسفي (ت ٧٠١هـ)، والخازن (ت ٧٤١هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، والزركشي (ت ٧٩٤هـ) من أعلام القرن الثامن الهجري، والثعالبي (ت ٨٧٦هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ) من القرن التاسع الهجري، والسيوطي (ت ٩١١هـ) من أعلام القرن العاشر الهجري، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) من أعلام القرن الثالث عشر الهجري.

ونشطت الكتابة في موضوع الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين نشاطاً ملحوظاً، وكان ممن خاضوا هذا المجال كل من الأئمة: الزرقاني، الرافعي، الجزائري، المراغي، دراز، أبو زهرة، النورسي، محمد رشيد رضا، محمد فريد وجدي، القاسمي، عبد الجليل

عيسى، حسنين مخلوف، أبو زيد الدمنهوري، محمد محمود حجازي، سيد قطب، بنت الشاطئ، بدوي، البيومي، العماري، والمطعني وغيرهم، ومن هنا كان تحديد إعجاز القرآن الكريم في مجال نظمه وبيانه وفصاحته.

ولكن إذا جاز هذا التحديد على موقف التحدي من مشركي العرب ـ على الرغم من عدم وجود الدليل على ذلك ـ فإنه بالقطع لا يجوز على إطلاقه؛ خاصة أن العرب اليوم في جملتهم قد فقدوا الحس اللغوي الذي تميز به أسلافهم، وأن التحدي بالقرآن الكريم للإنس والجن متظاهرين هو تحد مستمر قائم إلى يوم الدين؛ مما يؤكد أن ما في القرآن الكريم من أمور الغيب، وحقائق التاريخ، ومن فهم دقيق لمكنون النفس البشرية وحسن الخطاب في هدايتها وإرشادها وتربيتها، ومن مختلف الصور التي رسمت أو ضربت لعجائب آيات الله في خلقه، ومن غير ذلك مما اكتشفه ولا يزال يكتشفه في كتاب الله متخصصون في كل حقل من حقول المعرفة لا يمكن أن يبقى بمعزل عن ذلك التحدي المفضي إلى الاعتراف بحقيقة الإعجاز القرآني، والدال على أن القرآن هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله كي يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة. وبهذه الصفة لا بد وأن يبقى في هذا الكتاب الخالد من جوانب الإعجاز ما يناسب كل عصر، وأبرز ما يناسب عصرنا الحالي ـ وهو عصر التقدم العلمي والتقني المذهل ـ هو جانب الإعجاز العلمي في كتاب الله.

الإعجاز العلمي في كتاب الله:

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات)، وإلى صور من نشأتها ومراحل تكونها، وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلٰهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبرة وتفهم للحكمة، وما يستوجبه من إيمان بالله، ويقين

بكمال صفاته وأفعاله، وهو ﷻ الخالق البارئ المصور الذي أبدع الخلق بعلم وقدرة وحكمة لا تحدها حدود، ولا يفي بحقها وصف.

وقد أحصى الدارسون لهذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يُقَدَّر بحوالي ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة. وبدوام اتساع دائرة المعرفة الإنسانية، وتكرار تأمل المتأملين في كتاب الله، وتدبر المتدبرين لآياته ـ جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر ـ لن ينفك العلماء والمتخصصون يكتشفون من حقائق الكون الثابتة في كتاب الله ما يؤكد على تحقق الوعد الإلٰهي الذي يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبدهي أن يتباين موقف العلماء من تلك الإشارات الكونية في كتاب الله بتباين الأفراد وخلفياتهم الثقافية وأزمانهم، وباتساع دائرة المعرفة الإنسانية في مجال الدراسات الكونية التي تعرف باسم «دراسات العلوم البحتة والتطبيقية» من عصر إلى عصر. وأول من بسط القول في ذلك كان **الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)** في كتابيه «إحياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» والذي رفع فيهما شعارات عديدة منها أن القرآن الكريم يشمل العلوم جميعاً، وأن من صور إعجاز القرآن الكريم اشتماله على كل شيء، وأن كل العلوم تشعبت من القرآن الكريم، حتى علم الهيئة، والنجوم، والطب إلى آخر ما ذكر.

وتبع الإمام الغزالي في ذلك كثيرون، كان من أشهرهم في القديم **الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)**، وفي الحديث فضيلة **الشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٩هـ)**، والأساتذة الأعلام محمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب، وعبد الله فكري، وعبد العزيز سيد الأهل، وأحمد مختار الغازي، وحنفي أحمد، ومحمد أحمد الغمراوي، ومحمد محمود إبراهيم، وإبراهيم عبد القادر محمد فرج، ومحمد جمال الدين الفندي، وعبد الرزاق نوفل، ويوسف مروة، وعبد الغني الخطيب، وأحمد محمود سليمان، وحسين كمال الدين، وأحمد محمد مجاهد،

ومحمد رشاد الطوبي، ومحمد عبد المنعم أبو الفضل، وعبد الحافظ حلمي محمد، وعبد الله شحاتة، ومصطفى محمود، ويوسف السويدي، ومنصور حسب النبي، وعبد المحسن صالح، وحسن أبو العينين، وعدد كبير من العلماء المعاصرين الذين أضافوا إضافات أصيلة إلى هذا الموضوع ـ وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يبارك في جهودهم حتى يكملوا المسيرة على خير إن شاء الله، وأن يجزي السابقين عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقد أدت هذه الجهود إلى بروز «**المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم**»، والذي يعتمد معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله مع تفاوت في ذلك من عصر إلى عصر.

ويعتبر تفسير **الرازي** المعنون «**مفاتيح الغيب**» أول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية، خاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة (علم الفلك)، وغير ذلك من العلوم والفنون التي كانت معروفة في زمانه.

أما تفسير **الشيخ طنطاوي جوهري** والمعنون «**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**» فيقع في خمسة وعشرين جزءاً، حاول فيها الشيخ ـ يرحمه الله ـ تفسير القرآن الكريم تفسيراً يتجاوب مع روح العصر وما وصلت إليه المعارف المكتسبة في مجال دراسات الكون، وما فيه من أجرام سماوية، وغيرها من عوالم الجمادات، ومن مختلف صور الأحياء، والظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلهية التي تحكمها؛ ليبرهن للقارئ أن كتاب الله الخالد قد أحاط بالكون في تفصيل وبيان وإيضاح غفل عنه كثير من السابقين، وأنه بحق ينطوي على كل ما وصل وما سيصل إليه البشر من معارف.

هذا، وقد نعى الشيخ الجوهري ـ يرحمه الله ـ على علماء المسلمين إهمالهم للجانب العلمي في القرآن الكريم، وتركيز جهودهم على الجوانب البيانية والفقهية فقط بقوله: «لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن الكريم إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جداً في علوم الكائنات التي

لا تكاد تخلو منها سورة؟»؛ ولذا فإننا نجده في مطلع تفسيره يتوجه بنداء إلى المسلمين يقول فيه: «يا أمة الإسلام، آيات معدودات في الفرائض ـ (يقصد آيات الميراث) ـ اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها.. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور الإسلام.. هذا زمان رقيه، يا ليت شعري، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في علوم الميراث؟»، ثم يضيف: «إن نظام التعليم الإسلامي لا بد من ارتقائه، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن الكريم، بل هي علوم لفظه، وما نكتبه اليوم ـ (يقصد في تفسيره) ـ هي علوم معناه...».

ولم يكتف الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بتتبع الآيات واستنتاج معانيها وفق ما ارتآه فيها من إشارات إلى مختلف الدراسات الحديثة؛ بل إنه قد استعان في هذا التفسير ـ الفريد من نوعه ـ بكثير من صور النباتات والحيوانات والظواهر الكونية، والوسائل التجريبية، كما استخدم الآراء الفلسفية عند مختلف المدارس الفكرية وكذلك الأرقام العددية التي ينظمها «حساب الجُمَّل» المعروف. وقد اعتبر المفسرون من بني عصره ذلك المنهج العلمي في التفسير ـ كما اعتبر من قبل ـ جنوحاً إلى الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها التشريعية والإيمانية؛ استناداً إلى الحقيقة المسلمة: أن القرآن الكريم لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا جداول المواد وخصائصها، ولا قوائم بأسماء الكائنات وصفاتها؛ وإنما هو في الأصل كتاب هداية في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، والمعاملات والتي تشكل ركائز الدين الذي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيه أية ضوابط صحيحة. والقرآن العظيم حين يلفت نظر الإنسان إلى مختلف مظاهر هذا الوجود إنما يعرض لذلك من قبيل الاستدلال على قدرة الخالق العظيم، وعلمه، وحكمته وتدبيره، وذلك من قبيل إقامة الحجة البينة على الجاحدين من الكفار والمشركين ومن قبيل التأكيد على إحاطة القدرة الإلهية بالكون وبكل ما فيه، وعلى حاجة الخلق في كل لحظة من لحظات الوجود إلى رحمة ذلك الخالق العظيم ورعايته.

وانطلاقاً من ذلك كثر نقاد تفسير «الجواهر»، فهذا هو الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب في مقدمة تفسيره «المنار» ما نصه: «....وقد زاد الفخر الرازي صارخاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين ـ (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهري) ـ بإيراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة ـ بمناسبة كلمة مفردة، كالسماء أو الأرض ـ من علوم الفلك أو النبات أو الحيوان تصد القارئ عما أنزل الله لأجله القرآن».

وعلى الرغم من استنكار أعداد من المفسرين لهذا المنهج العلمي قديماً وحديثاً، إلا أن عدداً كبيراً من العلماء المسلمين ظل مؤمناً بأن الإشارات الكونية في كتاب الله ـ أي الآيات المتعلقة ببعض أشياء هذا الكون على إجمالها وتناثرها بين آيات الكتاب المجيد ـ تبقى بياناً من الله خالق الكون ومبدع الوجود؛ ومن ثم فهي حق مطلق، وصورة من صور الإعجاز في كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وأن ذلك قد لا يتضح إلا للراسخين في العلم من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم البحتة والتطبيقية ـ كل في حقل تخصصه ـ، وحتى هؤلاء يظل إدراكهم لذلك الإعجاز يتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، مصداقاً لقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

ومصداقاً لقول رسول الله ﷺ في وصفه للقرآن الكريم بأنه: «**مأدبة الله والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد**»(١).

ومن هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين في مختلف مجالات

---

(١) أخرجه كل من الحاكم (١، ٥٥٥) والترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) من حديث عبد الله ابن مسعود؛ وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٦٧).

المعرفة الإنسانية ـ في كل عصر وفي كل جيل ـ أن تنفر منهم طائفة للتسلح بمستلزمات تفسير كتاب الله من إلمام بقدر كاف من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وقواعده، مع معرفة بعادات المجتمع العربي الأول، وإحاطة بأسباب النزول، وبالمأثور في التفسير، وبالسيرة النبوية المطهرة، وباجتهاد السابقين من أئمة المفسرين، وبغير ذلك من الشروط التي حددها علماء التفسير وأصوله، ثم تقوم تلك الطائفة على شرح آيات الكتاب الحكيم ـ كل فيما يخصه ـ حتى تستبين للناس جوانب من الإعجاز في كتاب الله لم يكن من السهل بيانها قبل عصر العلم الذي نعيشه حتى يتحقق قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وانطلاقاً من ذلك الفهم ظهرت مؤلفات عديدة تعالج قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله من أشهرها في القديم كتاب «كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية» لمحمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

ورسالة عبد الله فكري (وهو من وزراء المعارف السابقين في مصر في مطلع القرن العشرين) التي يقارن فيها بين بعض مباحث علم الهيئة (الفلك) وبين الوارد من نصوص القرآن الكريم في ذلك، وكتاب «الإسلام والطب الحديث» لعبد العزيز إسماعيل، و«رياض المختار» لأحمد مختار (الغازي)، وكتاب «معجزة القرآن في وصف الكائنات والتفسير العلمي للآيات الكونية» لحنفي أحمد، وكتابا «في سنن الله الكونية» و«الإسلام في عصر العلم» لمحمد أحمد الغمراوي، و«إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض» لمحمد محمود إبراهيم، و«العلوم الطبيعية في القرآن» ليوسف مروة، وسلسلة كتب كل من محمد جمال الدين الفندي وعبد الرزاق نوفل في نفس الموضوع، وكتاب «أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة» لعبد الغني الخطيب، و«القرآن والعلم» لأحمد محمود سليمان، و«من إشارات العلوم في القرآن الكريم» لعبد العزيز سيد الأهل، و«محاولة لفهم عصري للقرآن» لمصطفى محمود، و«تفسير الآيات

الكونية» لعبد الله شحاتة، و«الإسلام والعلم التجريبي» ليوسف السويدي، و«القرآن تفسير الكون والحياة» لمحمد العفيفي، وكتاب «الإنجيل والقرآن والعلم» لموريس بوكاي، وكتاب «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» لمحمد علي البار. هذا بالإضافة إلى ما ظهر مؤخراً من كتب ومجلات عديدة وأبواب كثيرة عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، وردت مجمعة في كتب إسلامية متعددة، أو متناثرة في كثير من التفاسير التي حررت في النصف الأخير من القرن العشرين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تعرض هذا المنهج ـ بحق أحياناً، وبغير ذلك في أحيان أخرى كثيرة ـ للمزيد من النقد والتجريح الذي أسس على أن معجزة القرآن الكريم هي في الأصل معجزة بيانه الذي أدرك أساطين اللغة العربية فيه ومنذ سماع أولى آياته أنه علامة فارقة بين كلام الله وكلام البشر، وأن علينا أن نفهم الإسلام كما بينه نبي الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ. وكان من شواهد ذلك ومبرراته حيود عدد من الذين تعرضوا للقضايا الكونية في القرآن عن جادة الطريق إما عن قصور في فهم الحقائق العلمية، أو انتفاء لشروط القدرة على الاجتهاد في التفسير، أو لكليهما معاً. وعلى الرغم من ذلك كله فقد تمكن هذا السيل من الكتابات عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من تهيئة النفوس لقبول ذلك المنهج. وسنوضح في الباب التالي اختلاف آراء العلماء حيال قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وذلك من أجل إيضاح أهمية هذا المنهج وضرورته، وتفنيد حجج المعارضين له.

الفصل الرابع

مواقف العلماء من قضيتي التفسير العلمي للقرآن الكريم والإعجاز العلمي فيه

طال الجدل حول جواز تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس من معطيات علوم العصر وفنونه، والانطلاق من ذلك إلى إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد من حقائق الوجود وهو الذي نسميه بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم. وتفاوتت مواقف العلماء من ذلك تفاوتاً كبيراً بين مضيقين وموسعين ومعتدلين، مما يمكن أن نوجزه فيما يلي:

أولاً: موقف المُضَيِّقين:

وهو الموقف الذي يرى أصحابه أن تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، على ضوء ما تجمع لدى الإنسان من معارف هو نوع من التفسير بالرأي ـ الذي لا يجوز ـ استناداً إلى أقوال منسوبة لرسول الله ﷺ منها قوله الشريف: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»، و«**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[1]. واستناداً إلى أقوال منسوبة إلى كل من الخليفتين الراشدين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ من قول الأول: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله برأيي؟» وقول الثاني: «اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكِلُوه إلى ربه».

وكذلك استناداً إلى قول كل من سعيد بن المسيب وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في

---

(١) الترمذي في «سننه» رقم (٢٩٥٠و٢٩٥١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٣٣).

الصحيح المنقول عن الأول: «إنا لا نقول في القرآن شيئاً»، وعن الثاني: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير»؛ واستناداً كذلك إلى القول المنسوب إلى مسروق بن الأجدع ﷺ: «اتقوا التفسير؛ فإنما هو الرواية عن الله».

ولقد فات أصحاب هذا الموقف أن المقصود بـ (الرأي) في الحديث السابق هو (الهوى)، لا الرأي المنطقي المبني على الحجة الواضحة والبرهان المقبول، ويؤكد ذلك عبارة «بغير علم» التي وردت في الحديث الثاني، هذا بغض النظر عن كون الحديثين قد اعتبرا من ضعاف السند. كذلك فاتهم أن ما قد ورد على لسان بعض الصحابة والتابعين مما يوحي بالتحرج من القول في القرآن الكريم بالرأي الاجتهادي، إنما هو من قبيل الورع، والتأدب في الحديث عن كلام الله، خاصة وأنهم كانوا قد فطروا على فهم اللغة العربية، وفطنوا بها وبأسرارها، ودرجوا على عادات المجتمع العربي، وألموا بأسباب النزول، وعايشوا رسول الله ﷺ عن قرب وهو الموصول بالوحي، وسمعوا تلاوته وتفسيره للقرآن الكريم واستعانوا به على فهم ما وقفوا دونه، وأدركوا تفاصيل سنته الشريفة، فهل يمكن لمن توافر له كل ذلك أن يكون له مجال للاجتهاد بالرأي؟ خاصة وأن العصر لم يكن عصر تقدم علمي كالذي نعيشه، وأنهم كانوا لا يزالون قريبي عهد بالجاهلية التي كان قد خيم فيها على العالم أجمع ركام من العقائد الفاسدة، والتصورات الخاطئة، والأفكار السقيمة، والأوهام والأساطير، ولم يسلم من ذلك الركام أحد، حتى أصحاب الحضارات البائدة كلها، ولذلك ركزت دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ على قضايا العقيدة الصحيحة، والعبادات المفروضة، وركائز كل من مكارم الأخلاق وحسن المعاملات.

وخاصة كذلك وأن العصر بعد ذلك كان عصر انتشار للإسلام، ودخول الكثيرين من أصحاب العقائد واللغات الأخرى في دين الله أفواجاً، ومعهم خلفياتهم الفكرية الموروثة، والتي لم يكونوا قد تخلصوا منها كُلِّيَّةً بمجرد دخولهم في دين الله، وأن أعداداً غير قليلة من غلاة اليهود كانوا قد دخلوا الإسلام ـ كما

دخل أسلافهم من قبل إلى دين عيسى ابن مريم ـ ليأتمروا به، ويتآمروا عليه، ويكيدوا له وذلك بتأويل كلام الله على وجوه غير صحيحة من أجل تفتيت وحدة صف المؤمنين وبث بذور الفرقة بينهم، وكان من نتائج ذلك كله هذا الفكر الغريب الذي عرف فيما بعد باسم «الإسرائيليات» نسبة إلى السلالات الفاسدة من بني إسرائيل ـ أي اليهود ـ الذين كثر دسهم على دين الله، وعلى أنبيائه ورسله.

وكان من نتائجه كذلك بروز الشيع والفرق والطرائق المختلفة، ومحاولة كل فرقة منها الانتصار لرأيها بالقرآن الكريم.. وهذا هو «**الهوى**» الذي عبر عنه بـ «**الرأي**» فيما نسب من أقوال إلى رسول الله ﷺ وإلى عدد من صحابته وتابعيهم ـ عليهم رضوان الله أجمعين ـ.

كذلك فقد فات هؤلاء المضيّقين وهم ينادون بعدم الاجتهاد بالرأي في فهم كتاب الله، والوقوف عند حدود المأثور ـ (وهو ما نقل عن رسول الله ﷺ مباشرة، أو عن صحابته الكرام، أو عمن عاصر الصحابة من التابعين) ـ موكلين ما لم يفسره التراث المنقول إلى الله ـ تعالى ـ، وهو ما عرف باسم «**منهج التفسير بالمأثور**» أو «**التفسير بالمنقول**»، وفاتهم أن المقصود بالرأي هنا هو الهوى وليس الرأي المؤسس على قواعد صحيحة من حقائق الدين والعلم، خاصة وأن التفسير بالمأثور لم يشمل القرآن الكريم كله، فلحكمة قد ندرك طرفاً منها اليوم ـ لم يقم رسول الله ﷺ بالتنصيص على المراد في كل آية من آيات القرآن الكريم، وأن صحابته الكرام كانوا يجتهدون في فهم ما لم ينص عليه، وكانوا يختلفون في ذلك ويتفقون، وأن الثابت أنه ﷺ قد صوب رأي جماعة من أصحابه حين فسروا آيات من كتاب الله، وأنه قد دعا لابن عباس بقوله: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»[1]، وأن ذلك وغيره من الأقوال المأثورة قد اتخذ دليلاً على جواز الاجتهاد في التفسير في غير ما حدده رسول الله ﷺ، فمما يروى عن الإمام علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ حين سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ أنه قال:

---

(١) البخاري في «صحيحه» (١٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٨/٢٤٧٧).

«ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، وفهم يؤتاه الرجل في كتابه»[١] مما يؤكد أن فهم المسلمين لدلالة آيات القرآن الحكيم وتدبر معانيها ضرورة تكليفية لكل قادر عليها، مؤهل للقيام بها، وذلك يقرره الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله وهو أحكم القائلين: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وهذه الآية الكريمة ـ وكثير غيرها من الآيات القريبة في المعنى ـ أمر صريح من الله ـ تبارك وتعالى ـ بتدبر آيات القرآن الكريم وفهم معانيها. والقرآن الكريم ينعى على أولئك الذين لا يتدبرونه، ولا يستنبطون معانيه، وهذه آياته تقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣].

وتقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقد ساق الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة على جواز فهم القرآن بالرأي، أي: بالاجتهاد، ثم أضاف: «فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، والمنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه».

وبناء على ذلك فقد أجاز الغزالي لكل إنسان أن يستنبط من القرآن الكريم بقدر فهمه وحد عقله، ولو أن المبالغة في استخدام تلك الرخصة قد أفرزت نتاجاً لم يكن كله مستساغاً مقبولاً لدى العلماء، ومطابقاً لمقاصد الآيات القرآنية الكريمة في الهداية؛ فقد خرج قوم من المفسرين بالآيات القرآنية ـ إما عن عمد واضح أو عن جهل فاضح ـ إلى ما لا يقبله العقل القويم، ويرضاه الصحيح المنقول عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين لهم، ويقبله المنطق اللغوي وأساليب العرب في الأداء ـ حقيقة ومجازاً ـ؛ وذلك لانطلاق الفرق المخالفة من منطلق التعصب لمذاهبهم فحاولوا إخضاع التفاسير لخدمة مِلَلهم ونِحَلِهم؛ مما أدى إلى الموقف المتشدد من القول في القرآن الكريم بالرأي؛ ومن ثم رفض

---

(١) مسلم في «صحيحه» (٤٥/١٩٧٨).

تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس من معطيات المعارف المكتسبة في حقل العلوم البحتة والتطبيقية.

وهناك أعداد كبيرة من علماء المسلمين الذين اقتنعوا بضرورة الاجتهاد في تفسير كتاب الله، ولكنهم حصروا ذلك في مناهج محددة منها: «**المنهج اللغوي**» الذي يهتم بدلالة الألفاظ وطرائق التعبير وأساليبه والدراسات النحوية المختلفة، و«**المنهج البياني**» الذي يحرص على بيان مواطن الجمال في أسلوب القرآن الكريم ودراسة الحس اللغوي في كلماته، و«**المنهج الفقهي**» الذي يركز على استنباط الأحكام الشرعية والاجتهادات الفقهية، كما أن من هؤلاء المفسرين من نادى بالجمع بين تلك المناهج في منهج واحد عرف باسم «**المنهج الموسوعي**» أو «**المنهج الجمعي**»، ومنهم من نادى بتفسير القرآن الكريم حسب الموضوعات التي اشتمل عليها، وذلك بجمع الآيات الواردة في الموضوع الواحد في كل سور القرآن الكريم، واستنباط دلالاتها، استناداً إلى قاعدة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد عرف ذلك باسم: «**المنهج الموضوعي في التفسير**».

مبررات الرافضين للمنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم:

انطلاقاً مما سبق ظل المنهج العلمي في التفسير مرفوضاً من بعض المجتهدين، وذلك لأسباب كثيرة منها ما يلي:

١ ـ محاولة بعض اللغويين قصر قضية (الإعجاز) في القرآن الكريم على المجالات التي كان فيها التحدي بما لا يستطيع أحد من بلغاء العرب أن يصل إليه أو يضاهيه، وهو بيان القرآن، ونظمه، وأسلوبه، وفصاحته وبلاغته، وهو ما تحدى به العرب فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه.

وبناء على ذلك فإذا كان في القرآن الكريم وجوه من الإعجاز العلمي فالذي ينبغي أن يُفْهَمَ من ذلك أنه في كل وجه من هذه الوجوه يتعذر على البشر أن يصلوا إلى مستوى القرآن الكريم فيها، أو أن يكون في مقدور أسبابهم ووسائلهم أن تبلغ حقيقة ما ذكره القرآن الكريم عنها؛ وذلك لأن ما يقتضيه

المعنى اللغوي للفظة «الإعجاز» هو إثبات عجز الخلق في الوجه الذي تحداهم به، ولكن إذا وصلت العلوم المكتسبة إلى شيء من ذلك فقد سقط عنصر التحدي وبالتالي انتفت المعجزة.

وانطلاقاً من ذلك يضيف هؤلاء اللغويون أن المثلية في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] هي مثلية البيان والنظم والأسلوب والفصاحة والبلاغة فقط. علماً بأن الواضح من المثلية في التحدي بالقرآن الكريم (كله أو عشر سور من مثله أو حتى بسورة واحدة من مثله) هو التحدي الشامل بالشكل والمضمون، وبالبيان والمحتوى، ومن أوضح جوانب ذلك المحتوى ركائز الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وكلٌّ من الإشارات الكونية والنفسية والتربوية والتاريخية فيه.

٢ ـ إن الإسرائيليات كانت قد نفذت أول ما نفذت إلى التراث الإسلامي عبر محاولة أعداد من السابقين تفسير تلك الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس مما جاء في سفر «التكوين» من «العهد القديم». وهذا خطأ كبير لأن الله ـ تعالى ـ قد أوكل الناس في أمور الكشف عن حقائق الكون إلى جهودهم المتتالية جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر.. ومن هنا جاءت الإشارات الكونية في القرآن الكريم بصيغة مجملة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل تلك المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في مجال العلوم المكتسبة وذلك في تكامل لا يعرف التضاد. ومن هنا أيضاً لم يقم رسول الله ﷺ بالتنصيص على المراد من الآيات الكونية في أحاديثه الشريفة التي تناول بها شرح عدد من آيات القرآن الكريم.

ولكن لما كانت النفس البشرية تواقة دوماً إلى التعرف على أسرار هذا الوجود؛ ولما كان الإنسان قد شغل منذ القدم بتساؤلات كثيرة عن الكون، والحياة، وخلق الإنسان وعن غير ذلك من أسرار الوجود فقد تجمع لدى

البشر في ذلك تراث ضخم عبر التاريخ اختلط فيه الحق بالباطل والواقع بالخيال والعلم بالخرافة، وكان أكثر الناس حرصاً على هذا النوع من المعرفة المكتسبة هم رجال الدين في مختلف العصور. والدولة الإسلامية كانت في أول نشأتها محاطة بحضارات عديدة تباينت فيها تلك المعارف وأمثالها، ثم بعد اتساع رقعتها واحتوائها لتلك الحضارات المجاورة، وبعد دخول أمم من مختلف المعتقدات السابقة إلى دين الله، وبعد وصول هذا التراث إلى عدد من علماء المسلمين بعد ترجمته ونقده والإضافة إليه، حاول بعض المفسرين الاستفادة به في شرح الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم فأخطأوا في ذلك؛ لأن العصر لم يكن عصر تطور علمي كالذي نعيشه اليوم؛ ولأن هذا التراث كان أغلبه في أيدي اليهود الذين اشتهروا بتزييف الحقائق، وتزوير التاريخ، وبخداع غيرهم من البشر الذين يفضلون اليهود عليهم ويفصلونهم عنهم تحت مسمى: (الأمميين).

وقد اشتهر اليهود بالتآمر والكيد للإسلام منذ بزوغ فجره، كما تآمروا على رسالات جميع أنبياء الله من قبل، وأن النقل للمعارف التي كانت متاحة في زمانهم من اللغات الأخرى إلى العربية قد تم بواسطة من أسلم ومن لم يسلم منهم، وقد حذّر رسول الله ﷺ من اليهود بقوله: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه**»[1].

ويفسر ابن خلدون أسباب نقل هذه «الإسرائيليات» إلى كتب التاريخ والتفسير بقوله: «والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب، ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية: في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة

(١) أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٦).

من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين كانوا بين العرب يومئذ وهم بادية مثلهم كانوا لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها...».

٣ - إن القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية ربانية للإنسان، في القضايا التي يعلم ربنا - تبارك وتعالى - بعلمه المحيط عجز الإنسان عن الوصول فيها وحده إلى أية تصورات صحيحة من مثل قضايا **العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات**؛ وهي ركائز الدين، ومن هنا كانت ضرورة إنزال وحي السماء بها، ومن هنا أيضاً كان القرآن الكريم هو كتاب دين الله الذي أوحى به إلى خاتم أنبيائه ورسله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وتعهد الله - تعالى - بحفظه فحفظ؛ في نفس لغة وحيه «اللغة العربية»، وعلى ذلك فلا بد من تأكيد الحقيقة أن القرآن الكريم ليس كتاب علم من العلوم المكتسبة، بل هو وحي السماء، وأن الإشارات العلمية التي وردت به جاءت في مقام الإرشاد والموعظة بحقيقة الألوهية، والربوبية، والوحدانية، والخلق، والبعث، والحساب، والجزاء، ومخاطبة أهل العلم باللغة التي يفهمونها، لا في مقام البيان العلمي بمفهومه المحدد، وأن تلك الإشارات - على كثرتها - جاءت في أغلب الأحيان مجملة، وذلك بهدف توجيه الإنسان إلى التفكر والتدبر وإمعان النظر في خلق الله، لا بهدف الإخبار العلمي المباشر.

٤ - إن القرآن الكريم ثابت لا يتغير، بينما معطيات العلوم التجريبية دائمة التغير والتطور، وأن ما تسمى بحقائق العلم ليست سوى نظريات وفروضاً يبطل منها اليوم ما كان سائداً بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم، وانطلاقاً من هذا الفهم فإنه لا يجوز الرجوع إلى العلوم المكتسبة عند تفسير كتاب الله العزيز؛ لأنه لا يجوز تفسير الثابت بالمتغير.

٥ - إن القرآن الكريم هو بيان من الله - تعالى -، بينما معطيات العلوم المكتسبة لا تعدو أن تكون محاولة بشرية للوصول إلى الحقيقة. ولا يجوز - في ظنهم - رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر، كما لا يجوز الانتصار لكتاب الله بمعطيات العلوم المكتسبة؛ لأن القرآن الكريم - بصفته كلام الله - هو حجة على البشر كافة، وعلى العلم وأهله.

٦ - إن العلوم المكتسبة تصاغ في أغلب دول العالم اليوم صياغة تنطلق كلها من منطلقات مادية بحتة، تنكر أو تتجاهل الغيب ولا تؤمن بالله، وأن كثيرين من المشتغلين بالعلوم الكونية لهم مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله - تعالى - وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبحياة البرزخ وبالبعث والنشور والحساب والجزاء، وبالحياة الخالدة في الدار الآخرة، إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً.

٧ - أن بعض معطيات العلوم المكتسبة قد يتباين مع عدد من الأصول الثابتة في الكتاب والسنة، نظراً لصياغة تلك المكتسبات من منطلقات مادية بحتة منكرة لكل حقائق الغيب أو متجاهلة لها، وأن التفسير العلمي للقرآن الكريم على أساس من هذه المعطيات قد يدفع ببعض المتحمسين إلى التأويل المتكلف الذي لا نحتاج إليه في فهم دلالة النص القرآني.

٨ - إن عدداً من المفسرين الذين تعرضوا لتأويل بعض الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله قد تكلفوا في تحميل الآيات من المعاني ما لا تحتمله.

٩ - إن وصول الإنسان إلى معرفة عدد من حقائق الكون يخرج تلك الحقائق عن مقام التحدي، وعن دائرة المعجزة وبالتالي يخرج الإشارات الكونية في كتاب الله من إطار التحدي لأنها لم تعد أمراً خارقاً للعادة، أو سالماً من المعارضة.

الرد على اعتراضات الرافضين للمنهج العلمي في التفسير:

من الواضح أن حجج المعارضين للمنهج العلمي في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، والتي أوردناها في الفقرات السابقة هي كلها حجج مردودة حجة بحجة كما يلي:

١ ـ إن الذين حاولوا قصر الإعجاز في القرآن الكريم على بيانه ونَظْمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته فقط بدعوى أنه الجانب الذي تحدى به العرب فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه نسوا أن التحدي بالقرآن الكريم لم يكن للعرب فقط، بل للجن والإنس، فرادى ومجتمعين عبر التاريخ، وليس جميع الإنس والجن يعرفون اللغة العربية فضلاً عن إجادتها وإتقانها.

وادعاء المعترضين بأن (المثلية) التي جاء بها التحدي بالقرآن الكريم هي مثلية البيان والنظم، فيه إجحاف كبير بفضل القرآن الكريم: لأنه مع إيماننا بإعجاز بيان القرآن الكريم ونظمه إلا أن البيان يبقى إطاراً لمحتوى، والمحتوى أهم من الإطار، والمحتوى الأساسي للقرآن الكريم هو الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تحدى القرآن الكريم كلًّا من الجن والإنس بما أورد من قصص السابقين، وإنباء بالغيب، وخطاب للنفس الإنسانية، وإشارات كونية، واقتصادية، وإدارية، وحفظ على مدى السنين. وذلك لأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الخاتم ﷺ إلى يوم الدين، وأن التحدي به وقع بالقرآن كلِّه وليس فقط ببيانه ونَظْمه.

٢ ـ أنه لا حاجة بنا اليوم إلى «الإسرائيليات» في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله؛ لأن الرصيد العلمي في مختلف المعارف قد بلغ اليوم شأواً لم يبلغه من قبل، وإذا كان من استخدم «الإسرائيليات» في تفسيره من الأوائل قد أخطأ التفسير، فإن من يستخدم حقائق العلم الثابتة في شرح تلك الآيات اليوم لا بد وأن يصل إلى فهم لها لم يكن من السهل الوصول إليه من قبل، وأن يجد في ذلك من السبق العلمي في القرآن الكريم، صورة من

صور الإعجاز فيه لم يجدها السابقون، وذلك تأكيداً لوصف رسول الله ﷺ للقرآن بأنه: «**لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد**»[١].

٣ ـ أنه لا تعارض البتة بين كون القرآن الكريم كتاب هداية ربانية، وإرشادات إلٰهية، ودستور عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وكتاب تشريع سماوي يشمل نظاماً كاملاً للحياة، وبين احتوائه على عدد من الإشارات العلمية الدقيقة التي وردت في مقام الاستدلال على عظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وقدرته في إبداعه للخلق، وعلى إفناء ما قد خلق، وإعادة كل ذلك من جديد. وهذه الإشارات الكونية مفيدة أيضاً في الاستدلال على وحدانية الخالق المطلقة فوق جميع خلقه لأنه ﷻ خلق كل شيء في الوجود (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية واضحة حتى يبقى وحده متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وذلك لأن هذه الإشارات في القرآن الكريم تبقى بياناً من الله ـ خالق الكون ومبدع الوجود ـ فلا بد وأن تكون حقاً مطلقاً؛ لأنه ليس هناك من هو أدرى بالخليقة من الخالق ﷻ، وتبقى هذه الإشارات الكونية دعوة للإنسان في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه إلى دين الله الحق باللغة الوحيدة التي يفهمونها، وهي لغة العلم.

ولو أن المسلمين وعوا هذه الحقيقة منذ القدم لكان لهم في مجال الدراسات الكونية سبق ملحوظ وثبات غير ملحوق، فنحن ندرك اليوم ـ في ضوء ما تجمع لنا من معارف في مجال دراسات العلوم البحتة والتطبيقية ـ أن الإشارات الكونية في كتاب الله تتسم بالدقة المتناهية في التعبير، وبالشمول والإحاطة في المعنى، وبالاطراد والثبات في الدلالة، وبالسبق لكثير من الكشوف العلمية بالمئات من السنين، وفي ذلك شهادة قاطعة ـ لا يستطيع إنكارها إلا جاحد ـ بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن (الحديث: ٢٩٠٦).

أما القول بأن تلك الإشارات قد تم سردها بصورة مجملة فإنها بحق إحدى صور الإعجاز العلمي والبياني في القرآن الكريم؛ وذلك لأن كل إشارة علمية وردت فيه قد صيغت صياغة فيها من إعجاز الإيجاز، والدقة في التعبير، والإحكام في الدلالة، والشمول في المعنى ما يُمَكِّن الناس ـ على اختلاف ثقافاتهم، وتباين مستويات إدراكهم، وتتابع أجيالهم وأزمانهم ـ أن يدركوا لها من المعاني ما يتناسب وهذه الخلفيات كلها، بحيث تبقى المعاني المستخلصة من الآية الواحدة يكمل بعضها بعضاً في تناسق عجيب، وتكامل أعجب؛ لأنه تكامل لا يعرف التضاد. وهذا عندي من أروع صور الإعجاز في كتاب الله. فالإجمال في تلك الإشارات مع وضوح الحقيقة العلمية للأجيال المتلاحقة ـ كل على قدر حظه من المعرفة بالكون وعلومه ـ هو بالقطع أمر فوق طاقة البشر، وصورة من صور الإعجاز لم تتحقق ولا يمكن أن تتحقق لغير كلام الله الخالق.

ومن هنا كان فهم الناس للإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء ما يتجمع لديهم من معارف، هو فهم يزداد اتساعاً وعمقاً جيلاً بعد جيل، وهذا في حد ذاته شهادة للقرآن الكريم بأنه لا تنتهي عجائبه ولا يبلى على كثرة الرد، كما وصفه المصطفى ﷺ. وقد أدرك نفر من السابقين ذلك وفي مقدمتهم **الإمام الزركشي** الذي كتب في كتابه «**البرهان في علوم القرآن**» ما نصه: «وما من برهان ودلالة وتقسيم، وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله ـ تعالى ـ قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين: الأول: بسبب ما قاله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]. والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون. وكذلك أخرج ـ تعالى ـ مخاطباته في محاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من

جليلها ما يقنعهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يوفي على ما أدركه الخطباء...» ثم يضيف: «ومن ثم كان على كل من أصاب حظاً في العلم أوفر أن يكون نصيبه من علم القرآن أكثر؛ لأن عقله حينئذ يكون قد استنار بأضواء العلم، وهؤلاء هم الذين اهتم القرآن بمناداتهم كلما ذكر حجة على الربوبية والوحدانية، وأضاف إليهم: أولو الألباب، والسامعون، والمفكرون، والمتذكرون، تنبيهاً إلى أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها».

من هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين في كل عصر وفي كل جيل أن ينفر منهم من يستطيع أن يجمع إلى حقل تخصصه إلماماً بحد أدنى من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وقواعده، مع إحاطة بأسباب النزول، وبالمأثور في التفسير، وباجتهاد السابقين من أئمة المفسرين، ثم يعود هؤلاء إلى دراسة الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله ـ كل فيما يخصه ـ محاولين فهمها في ضوء حقائق العلم وكشوفه، وقواعد المنطق وأصوله حتى يدركوا ما يستطيعون من فهم لكتاب الله فتتحقق نبوءة المصطفى ﷺ في وصفه لهذا الكتاب العزيز بأنه: «**لا تنقضي عجائبه**»[1].

٤ ـ أن القول بعدم جواز تفسير الثابت بالمتغير قول ساذج؛ لأن معناه الجمود على فهم واحد لكتاب الله، ينأى هذا الفهم بالناس عن واقعهم في كل عصر. وثبات القرآن الكريم ـ وهو من السمات البارزة له ـ لا يمنع من فهم الإشارات الكونية الواردة فيه على أساس من حقائق العلوم الكونية، حتى ولو كان ذلك يتسع من عصر إلى آخر بطريقة مطردة، فالعلوم المكتسبة كلها لها طبيعة تراكمية، ولا يتوافر للإنسان منها في عصر من العصور إلا أقدار تتفاوت بتفاوت الأزمنة، وتباين العصور، تقدماً واضمحلالاً. وهذه الطبيعة

(١) سبق تخريجه ص ٩٥.

التراكمية للمعرفة الإنسانية المكتسبة تجعل الأمم اللاحقة أكثر علماً في مجال الكونيات ـ بصفة عامة ـ من الأمم السابقة، إلا إذا تعرضت الحضارة الإنسانية بأكملها للانتكاس والتدهور.

من هنا كانت معطيات العلوم الكونية ـ بصفة خاصة ـ، والمعارف المكتسبة كلها ـ بصفة عامة ـ دائمة التغير والتطور، بينما كلمات وحروف القرآن الكريم ثابتة لا تتغير، وهذا وحده من أعظم شواهد الإعجاز في كتاب الله.

وعلى الرغم من ثبات اللفظ القرآني، وتطور الفهم البشري لدلالاته ـ مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل ـ فإن تلك الدلالات يتكامل بعضها مع بعض في اتساق لا يعرف التضاد، ولا يتوافر ذلك لغير كلام الله ـ تعالى ـ. ويظل اللفظ القرآني ثابتاً، وتتوسع دائرة فهم الناس له عصراً بعد عصر.. وفي ذلك شهادة للقرآن الكريم بأنه يغاير كلام البشر كافة، وأنه ـ بالقطع ـ بيان من الله ـ تعالى ـ. ولذلك فإننا نجد هذا الكتاب العزيز يحض الناس حضًّا على تدبر آياته، والعكوف على فهم دلالاتها، ويتحدى أهل الكفر والشرك والإلحاد أن يجدوا فيه صورة واحدة من صور الاختلاف أو التناقض على توالي العصور، وكثرة النظر فيه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ وصدق الله العظيم إذ يكرر التساؤل التقريعي في سورة «الرحمٰن» إحدى وثلاثين مرة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧]، ويؤكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ضرورة تدبر القرآن الكريم، وأنه تعالى قد جعله في متناول عقل الإنسان فيذكر ذلك أربع مرات في سورة القمر، حيث يصدع التنزيل بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢].

والذكر هنا ـ كما يجمع المفسرون ـ يشمل التلاوة والتدبر معاً، ويشير إلى استمرار تلك العملية مع توالي العصور وتجدد الأزمان، ومن هنا يبقى النص القرآني ثابتاً، ويتجدد فهم الناس له كلما اتسعت دائرة معارفهم ونمت حصيلتهم العلمية، وذلك ـ بالقطع ـ فيما لم يرد في شرحه شيء من المأثور الموثق. وليس في ذلك مقابلة بين كلام الله وكلام الناس كما يدعي البعض، ولكنه المحاولة الجادة لفهم كلام الله، وهو ـ تعالى ـ الذي أنزله للبشر؛ لكي يفهموه، ويتعظوا بدروسه. وفهم آيات القرآن الكريم ـ في الوقت نفسه بمعان تتسع مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار، وفي تكامل لا يعرف التضاد ـ هو صورة من صور الإعجاز في كتاب الله، لا ينكرها إلا جاحد.

٥ ـ والقول «بأن ما يسمى بحقائق العلم ليس إلا نظريات وفروضاً، يبطل منها اليوم ما كان سائداً بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم» فهو أيضاً قول ساذج؛ لأن هناك فروقاً واضحة بين كل من الفروض والنظريات من جهة، والحقائق والقواعد والقوانين من جهة أخرى، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض ثم النظريات، وينتهي بالقواعد والقوانين والحقائق. والفروض هي تفسيرات أولية للظواهر الكونية، والنظريات هي صياغة عامة لتفسير كيفية حدوث تلك الظواهر ومسبباتها، أما الحقائق الكونية فهي ما يثبت ثبوتاً قاطعاً في علم الإنسان بالأدلة المنطقية المقبولة، وهي جزء من الحكمة التي نحن أولى الناس بها كما علمنا المصطفى ﷺ. أما القواعد والقوانين العلمية فهي تعبيرات بشرية عن السنن الإلهية في الكون، تصف علاقات محددة تربط بين عناصر الظاهرة الواحدة، أو بين عدد من الظواهر الكونية المختلفة، وهي كذلك جزء من الحكمة التي هي ضالة المؤمن، كما أخبر الصادق المصدوق ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ [1]. والحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن أبداً، ولكنها قد تتسع وتنمو بنماء الجهود المتتابعة، ومن هنا كانت الطبيعة التراكمية للمعرفة

(١) العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٣٥).

المكتسبة التي تتسع جيلاً بعد جيل، وهذا لا ينتقص من صدق الملاحظات العلمية التي ترقى إلى مرتبة الحقيقة أو القاعدة أو القانون.

٦ ـ أما القول «بأنه لا يجوز رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر كما لا يجوز الانتصار لكتاب الله بمعطيات العلوم المكتسبة» فهو كذلك كلام بعيد عن الحق، فقد حرص كثير من علماء المسلمين على ألا يتم تفسير الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة والقوانين والقواعد الثابتة، أما الفروض والنظريات فلا يجوز تخديمهما في فهم ذلك، إلا في حالة الآيات القرآنية الكريمة، المتعلقة بالقضايا التي لا تخضع خضوعاً مباشراً لحس الإنسان وإدراكه من **مثل قضايا الخلق بأبعاده الثلاثة: خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان، وفي قضايا الإفناء والبعث.** وحتى هذا الموقف نعتبره تحفظاً مبالغاً فيه، فكما يختلف دارسو القرآن الكريم في فهم بعض الدلالات اللفظية، والصور البيانية، وغيرها من القضايا اللغوية، ولا يجدون حرجاً في ذلك العمل الذي يقومون به في غيبة نص ثابت مأثور، فإننا نرى أنه لا حرج على الإطلاق في فهم الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء المعارف العلمية المتاحة، حتى ولو لم تكن تلك المعارف قد ارتقت إلى مستوى الحقائق الثابتة؛ وذلك لأن التفسير يبقى جهداً بشرياً خالصاً ـ بكل ما للبشر من صفات القصور، والنقص، ومحدودية القدرة ـ، ثم إن العلماء التجريبيين قد يجمعون على نظرية ما، لها من الشواهد ما يؤيدها، وإن لم ترق بعد إلى مرتبة الحقيقة أو القاعدة أو القانون، ولا يكون أمام العلماء من مخرج للوصول بها إلى ذلك المستوى أبداً، فمن أمور الكون العديدة ما لا سبيل للعلماء التجريبيين من الوصول فيها إلى حقيقة أبداً، ولكن قد يتجمع لديهم من الشواهد ما يمكن أن يعين على بلورة نظرية من النظريات، ويبقى العلم التجريبي مسلماً بأنه لا يستطيع أن يتعدى تلك المرحلة في ذلك المجال بعينه أبداً.